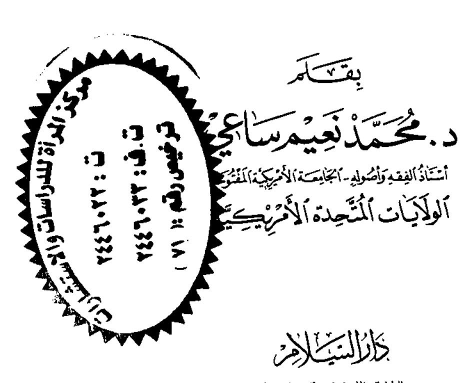

فرنسا تخلع
حجاب
الحرية
والديموقراطية
هان الحجاب في الشرق
فهان على أهل الغرب
د. محمد نعيم ساعي
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

فرنسا

تخلع حجاب الحرية والديمقراطية

هان الحجاب في الشرق فهان على أهل الغرب



بقلم
د. محمد نعيم ساعي
أستاذ الفقه وأصوله - الجامعة الأمريكية المفتوحة
الولايات المتحدة الأمريكية

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر

هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com



اقرأ في هذا الكتاب

من أجل عيون العلمانية فرنسا تدق ناقوس الخطر .

الحجاب ... والقلنسوة ... والصليب .

حريات أوروبا ، وديمقراطياتها ليست للتصدير .

فرنسا تستفتي شيخ الأزهر .

هوان الحجاب في الشرق قبل هوانه في الغرب .

الدعاة « الهواة » و « الداعية المودرن » .

رسالة إلى مذيعات التليفزيون والفضائيات .

المحجبة « اللعوب » و « حجاب وشيشة » .

إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

قبل أن تأتي أوروبا على بقية فرائض الإسلام .

الحجاب .... والنقاب .

وامعتصماه .







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وحده .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد .

فإن قضية الحجاب في فرنسا قد ألقت بظلالها النكدة على المسلمين أينما كانوا على اختلاف نوازعهم وتعدد تخصصاتهم ، وكان لنا نحن فقهاء المهجر خاصةً والجاليات المسلمة في بلاد الغرب عامةً النصيب الأكبر من تلك التأثيرات .

وذلك لأن المسألة بدأت في بلد غربي كان يعتبر لوقت قريب أبًا للديمقراطية وحريات الإنسان وحقوقه ، بل إن هذا البلد الجمهوري الناشئ إنما ولد هكذا بزعم ثورته على أسس الإخاء والحرية والمساواة .

وإن كنا نحن لا نشتري ولم نشتر أصلًا تلك المزاعم بفلس مصري قديم أو فرنك فرنسي حديث وذلك لما في سماء تلك الثورة من سحب الشك والاتهام في مصداقيتها ، وفي حقيقة أهدافها البعيدة والقائمين عليها ، إلا أننا لسنا بصدد الدخول في تلك المعمعة الآن ، لا سيما

وقد نوهنا بتلك الملاحظات في كثير من خطبنا ومحاضراتنا وبعض ما كتبنا ، لكن المهم والأهم في هذا الوقت بالذات أن نتعامل مع تلك المسألة الخطيرة .

والظاهرة الأخطر بكثير من العمق في التحليل والدرس ، ولننطلق بعد هذا إلى ما هو المقصود الأعظم لكل فقيه أو مفكر أو باحث مسلم من هذا كله ؛ ألا وهو وضع المعالم الرئيسية للسير في طريق التصويب والتصحيح ، علَّ ذلك يجنبنا ويجنب ديننا ، وأهل الإسلام ويلات ما تخبئه لنا جُعَبُ وملفات العداوة لهذا الدين والحرب على أهله .

ولأننا نعلم علم اليقين بحكم عيشنا في الغرب وقربنا من وسائل إعلامه ما يقوله الخاصة وأهلُ الساسة فيه ، فقد وجدنا أنه من حق المرأة المسلمة وحجابها علينا ، وكذلك حق كل مسلم غيور على دينه - أقول وجدنا - أنه من حق هؤلاء جميعًا أن نكتب في هذه المسألة بعيدًا عن المجاملة والتزويق ، بل غوصًا في الحقائق وبمنتهى الموضوعية والمنهجية العلمية ، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يجعل هذا وكل ما قلناه أو كتبناه أو ما نقوله ونكتبه الآن وبعد

الآن في سبيله ﷻ وابتغاء مرضاته ، وأن يفتح به قلوبًا غلفًا وآذانًا صمًّا ، وأن ينفعنا وينفع به في الدنيا والقبر والآخرة . آمين اللهم آمين ، وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب .







فهان الحجاب في الشرق فهان على أهل الغرب

الفصل الأول

ديموقراطيات أوروبا وحرياتها





سقوط حجاب الديموقراطية
فــي فــرنــســـا

هل خلعت فرنسا وأوروبا حقًّا حجاب ديموقراطيتها ودعواها في الحرية وحقوق الإنسان ؟ وهل كان في فرنسا وأوروبا أصلًا ديموقراطية حقيقية ؟ وإن كان هناك ديموقراطية فما نوع هذه الديموقراطية في موازين الحضارة والتمدن البشري ؟ أسئلة كثيرة فجرتها قضية الحجاب هناك وتحتاج إلى جواب ، وهذه نقاط وإشارات عسى أن يكون فيها جواب أو بعض جواب .

ديموقراطية الغرب وحريته
« صناعة بشرية »

وهذه أولى الحقائق التي يجب ألا تغيب عن بال القارئ والمحلل لهذه القضية - أعني قضية الحجاب - نعم هي ديموقراطية « man - made » مصنوعة محليًا في هذه الكرة الأرضية لا علاقة لها بالسماء والخالق سبحانه وتعالى . وديموقراطيات وحريات وضع قانونها البشر لابد أن تكون

قاصرة ضيقة الأفق جاهلة ؛ ولذلك تولد في ديموقراطيات الغرب وحرياته الإقرار بكل ما هو مخالف للفطرة والجبلة البشرية والشرائع التي شرعها رب العالمين ، فضلًا عن مصادمتها للدين الذي أنزله اللّٰه تعالى [١] . فلا عجب بعد هذا أن ترى في بلادهم قانونًا يحمي الكفر والإلحاد ، وقانونًا يحمي الشذوذ والإباحية ، « وآخر يفرق بين زنى حلال » « وزنى حرام » فما كان قبل الزواج ، وبرضا الطرفين فهو حلال في حلال ، وما كان بعده فهو خيانة وعيب ، إلى آخر تلك المراسيم التشريعية ، وحتى العُرِيُّ قد نظموا له قوانين ومراسيم ، إلا هذا الحجاب الإسلامي فقد ضاقت به كل مراسيمهم وقوانينهم فلم تجد له وبأغلبية

(١) يصح أن تقول الشرائع السماوية ، ولا يصح أن تقول أديان سماوية ، وهذا بإجماع العلماء ، والبعض يهفو ويغلط أحيانًا بجهل ، وأحايين بتجاهلٍ مجاملةً ومداهنةً . الدين واحد وهو الإسلام والشرائع مختلفة . فدين الأنبياء جميعًا واحد من لدن آدم إلى رسول اللّٰه محمد ﷺ مرورًا بإبراهيم وموسى وعيسى ؛ ألا وهو الإسلام ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ .

ساحقة(١) مكانًا ولا حتى ركنًا ضيقًا ... فهذه ديموقراطيات وحريات البشر ، ورب العالمين يقول : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ .... فأين الثرى من الثريا : ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾ .

ديموقراطية الغرب ليست للتصدير

عجيب هذا الأمر ، أن تدعي أمم سبقها في مجال التصنيع والتسليح ، وأن تبهر العالم كله بإمكانياتها العالية بـ« تكنلجة » كل شيء ، وأن تتخذ الدول الغربية كل حيلة ، وكل وسيلة لفتح أسواق المعمورة كلها لبضاعتها ومصنوعاتها ، تارة بالسلم والرضى ، وتارة بالحرب والإكراه ... ثم تستثنى من هذا الضجيج المادي كله ديموقراطيتها وحرياتها ، فتقول : هذا غير قابل للتصدير ،

(١) نعم : الجمعية الوطنية الفرنسية ، ومجلس الشيوخ الفرنسي كلاهما صَوَّتَ بأغلبية ساحقةٍ ضد ارتداء الحجاب وسائر الرموز الدينية انظر جريدة الأهرام المصرية عدد (٤٢٨٢٣) السنة (١٢٨) الجمعة : ١٤ محرم ١٤٢٥ هـ - ٥ مارس (آذار) ٢٠٠٤م الصفحة (٤) .

وذلك لحماية المستهلك الوطني والحفاظ على قيمة « المنتوج المحلي » عجائب وأساطير وخرافات ، وكأننا في عالم من السحر والشعوذة .. نعم لا يجوز للشعوب غير الغربية ، وعلى الخصوص الشعوب المسلمة ، وعلى أخص الخصوص الشعوب العربية أن تنعم بحرية الكلمة والرأي ، ولا يجوز لها أن تختار طواعيةً وحبًّا رئيسها وحاكمها ، ولا يجوز بشكل قاطع وتحت تصنيف « سري للغاية » أن يسمح لها بأن تعود باختيارها لتحكيم شريعة ربها ودستور قرآنها ، ومن يجرؤ على الاقتراب من هذا الخط الأحمر يفعل به الأفاعيل ، وتكاد له الحيل والأباطيل [١] . ولسنا في هذه العجالة في مقام الاستدلال والبرهنة على ما سقناه ؛ فلقد أصبح الصبي اليافع في الشارع يدرك هذه الحقيقة إدراكه للشمس والهواء .

---

(١) لكنَّ هذا الغرب لا يُعْدمُ من نفحة من نفحات الكرم والسخاء ، ليدلل على أنه لا يزال محافظًا على نوعه الإنساني ، وذلك بتمرير جرعات مركزة من الحرية والديموقراطية ، وهي حريات الخروج على الدين والأخلاق ، وديموقراطية إشعال الفتن والقلاقل والانقلابات ، تعسًا لهم ولسخائهم الشيطاني .

وحرية وديموقراطية هذا شأنهما هل تستحق أن تنخلع لهما القبعات أو تصفق لهما الأكف والراحات ؟؟!! إنني أعتقد أن أقل ما تستحقه أن تضرب بالأحذية والنعال ، وأن ترمى في سلال القذر والمهملات .

وأما الديموقراطية والحريات التي جاء بها الإسلام فهي في أساسها عالمية للتصدير وليست للتخزين : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ .

وقال ﷺ لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن : « **وادعهم إلى لا إله إلا اللّه ، فإن هم أجابوك فأعلمهم ....** » وقال ربعي ابن عامر وهو يخاطب قائد جيش الروم : « جئناكم حتى نخرجكم من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا وجور الأديان ، إلى سعة الدنيا وعدل الإسلام » فَأَنْعِم بدين تلك رسالتُهُ وأَعْظِم بإسلام تلك ديموقراطيتُهُ وحريتُهُ .

ديموقراطية الغرب وحرياته
« عنصرية عرقية »

ظننا وظن الكثير معنا إلى عهد قريب أن العنصرية في أمريكا وجنوب أفريقيا والعرقية في ألمانيا إبَّان النازية الهتلرية – أقول : ظننا – أن هذا كان شذُوذًا في الفكر الغربي وحالة طارئة في التكوين الإنساني في تلك المجتمعات ... هكذا ظننا ؛ بل إن هذا الظن وصل بالبعض إلى درجة الاعتقاد الراسخ وأن الأصل في التكوين الديموقراطي لتلك المجتمعات والدول هو النظرة العادلة والمحترمة لكل ما هو إنساني ، لا فرق في ذلك بين أسود وأبيض أو غربي وشرقي ونصراني ومسلم إلى غير ذلك ، حتى انقلبت تلك القناعات والاعتقادات إلى تيارات فكرية تنادي بالتغرب والتفرنج ومحاكاة الغرب بكل ما فيه ، فخيره يغلب شره ، وملائكته تغلب شيطانيته ، إلا أن هذه الحقائق سرعان ما تبدلت وتغيرت لتصبح طيفًا وسرابًا ، ولتأتي حقائق أخرى أكثر علمية وأقرب إلى الواقع والمحسوس ، وتتلخص هذه الحقائق الجديدة : في أن العنصرية والعرقية جزء لا يتجزأ من

الكيانات الغربية البيضاء ، وأن اللون الداكن ، والبشرة القاتمة تعاني تخلفًا وقصورًا ، وأما البشرة البيضاء فهي رمز تقدم نوعي وتفوق وراثي .

وزاد هذه المجتمعات بتلك القناعات الفارغة التي لا تستند إلى علم أو تجربة : ذلك التقدم الصناعي ، والتفوق المادي الذي سبق به الرجل الأبيض صنوه الأسمر أو الداكن ، إلى آخر تلك التصنيفات العرقية . لقد كان كثيرًا ما يرسل لنا بطاقات واستمارات واستبيانات في مصالح مختلفة من الحياة ، ومن بينهما قسم خاص يتعلق بالعرق واللون والخلقة الجغرافية ، ومع أن هذا القسم كان في أغلب الأحوال يكتب أمامه كلمة « optional » يعني اختياري لكنه يوظف في نهاية الأمر من قبل تلك الدول لدراسة التغيرات العلمية والمالية واللغوية في تلك البلاد ، والتابعة للاختلافات الديموغرافية « العرقية والعنصرية » .

إن السود « الأفارقة الأمريكان » في الولايات المتحدة لا يزالون يعانون إلى هذا اليوم من العنصرية والتمييز ، يقول هذا كل من قابلته منهم في تلك البلاد إذا تحدث بحرية وشفافية ، والأمريكيون اللاتينيون يعانون الأمر نفسه ، وهذا

له مثيل أو شبه يخف ويمتد في كثير من دول العالم الغربي : في فرنسا ، وألمانيا ، وهولندا وأسبانيا و .... إن القناعة العامة للكيانات البيضاء هي : أنه لا يجوز لأصحاب البشرة الداكنة أن ينعموا بحريات وديموقراطيات تعود عليهم بتحضر حقيقي ، أو تفوق مادي ، أو رخاء اقتصادي ، أو استقرار سياسي ؛ بل لابد أن تشغل تلك المجتمعات المخالفة بالحلال وبالحرام بما يعطل نماءها ويؤخر تطورها ، ويقتل مواهبها ويزعزع أمنها ويخرب اقتصادها . وهكذا ؛ حتى تبقى المعادلةُ صحيحةً وهي أبيض = تفوق وظهور وغلبة (superiority) ، وما يشهده العالم اليوم من التخلف والقلاقل والفتن والحروب والانقلابات والفساد الأخلاقي ، وهيمنة الفئة القليلة ، واستبداد وتسلط هو ترجمة عملية لتلك القناعات العرقية العنصرية ؛ لأن هذه المظاهر التي ذكرناها في معظمها برعاية الآلة العسكرية الغربية وبسيف التفوق الاقتصادي ، تارة بالمنح والقروض ، وتارة بالمقاطعة والحصار الاقتصادي ..

فهذه ديموقراطية الغرب وحرياته ... وأما ديموقراطية الإسلام وحرياته : فهي ديموقراطيةُ وحريةُ : « **لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود ، كلكم من آدم وآدم من**

تراب » ديموقراطيات وحريات « **والله لا أقوم حتى يضع ابن السوداء قدمه على خد ابن البيضاء** » [١] فسبحان من قال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ .

ديموقراطية يستظل بظلها كل مخلوق ، وأخرى يشوى بلظاها كل كائن [٢] ...

فهل يعجب المرء إذا وقفت فرنسا الديموقراطية والحرية من الحجاب هذا الموقف ؟ .

واللافت للنظر أن قرار البرلمان كان بأغلبية ساحقة ، وهو الممثل لقطاعات الشعب المختلفة مما يدلل على صدق ما قلناه أو قريبًا منه .

---

(١) في قصة بلال الحبشي مع أبي ذر عندما عَيَّرَهُ الأخير فقال له النبي ﷺ : « لقد طفَّ الصاع يا أبا ذرٍّ ، إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ » ثم يضع أبو ذر خده على عتبة باب المسجد ويقول قولته التي قلناها في أعلى الصفحة .

(٢) بما فيهم الكائن الغربي المسكين فإنه أول من يحترق بعنصريته وعرقيته ؛ لأنها صورة من صور ظلم الإنسان لأخيه والذي يعيش تحت أو في حرور مجتمعات ظالمة لا يمكن أن يسعد السعادة التي تنشدها وتتمناها البشرية . وقد عجل الله بعض عقوبتهم في الدنيا في صور جرائم وأمراض وكوارث اجتماعية وأخلاقية وغير ذلك .

أيـن الإنصاف ؟

ألم يفتح الغرب أبواب الهجرة لأبناء الشرق المسلم ؟؟!!

« العوامة » أو « لقمة القاضي »

نعم هذا حق ، وحق أن كثيرًا من أبناء المسلمين وجدوا في بلاد الغرب من كل ما يتعلق بالدنيا ما لا يحلمون بعشر معشاره في بلادهم وأوطانهم الأصلية ، نعم هذا حق ؛ بل هو حق وزيادة ولكن ... وأنا بيني وبين « لكن » هذه عداوة مستحكمة ، وأنا أسميها « أداة التنغيص والتكدير » فإنها ما دخلت على مسألة أو جملة أو قضية إلا حولت أبيضها إلى أسود ، وحلوها إلى مر ، وخيرها إلى شرٍّ .... وهكذا هي الحقيقة في كثير من جوانبها .. نعم كل ما قيل حق ، وأنا قلت حق وزيادة . ولكن لماذا اضطر أبناء الشرق لهجران بلادهم وأوطانهم ؟ وما هي عوامل وأسباب هجرتهم في الغالبية الغالبة منهم ولا أقول في كلهم ؟!

أتعرف أيها القارئ الحبيب صانع الحلوى المشهورة المسماة بالشامية « عَوامة » أو « لقيمات » أو بالمصرية « لقمة القاضي » حلوى طيبة يحبها الكل واللَّه أعلم . أرأيت إلى

عجينتها كيف كانت مستقرة هانئة وادعة في أرض رحبة واسعة . حتى إذا حملها صانع الحلوى بيديه الضخمتين ثم جعل يكورها ويقلبها من يد إلى أخرى ومن كف إلى أغلظ ، ثم شاء أن يخلصها من هذا العبث والتلاعب والحبس فقرر أن يطلق سراح بعضها من كلتا يديه فعصرها وحبسها ثم ضغطها ، ثم أنعم عليها بأن فتح لها طاقةً من بين زنزانتي إصبعيه ، لتنطلق كتلة منها وهي تلهج الشكر لحابسها ومطلقها ، ولتتنفس الصعداء بعد كبتٍ وضيق شديدين ، ولتجد نفسها تلقى في فضاء واسع جديد وهواءٍ منعش حسبت أن معه العمر المديد . فلما نظرت تحتها فإذا بها تجد مكانًا أضيق من الذي كانت فيه ، لكن لا لتبقى على حالها القديم ؛ ولكن لتأخذ شكلًا جديدًا وحجمًا مختلفًا آخر ولن يكون هذا بالماء والثلج ولكن بالحر والحديد ، وكأني أنظر إلى صويحبات هذه اللقمة في أرضهن القديمة يتمنين أن يبتسم لهن الحظ فتسعدهن أصابع الرحمة والحنان كما أسعدت أختهم ، لا يدرين من الحكاية إلا « عجينة وعوامة » فهل فهمت أيها القارئ الحبيب ، فإن كنت فهمت هذا المثل ، وما أظنك إلا ذاك اللبيب النبيه ،

فقل معي : اللهم إنا نسألك اللطف بنا وبالمسلمين فيما جرت به المقادير ، ودبر لنا ولهم فإنا لا نحسن التدبير .

« ولابد من كلمة شكر »

ولأن ديننا تأبى أخلاقياته ومبادؤه على المرء أن يتنكر للمعروف أو يدير ظهره للجميل . فإننا نقول وبملء الفم : « شكرًا » ، نعم شكرًا لكل باب فرج فتح لنا في بلاد الغرب . وشكرًا لكل فرصة خير وجدناها ، ولكل نسمة حرية استنشقناها بين أناس يدينون بغير ملتنا ، ويتكلمون بغير لساننا .... لقد حَمَّلَنا هذا الجميل مِنَّةً في أعناقنا لا نستطيع الفكاك من أسرها إلا برد الجميل أو بأجمل منه : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ وليس من جميل يكافئ جميلهم أو يفوقه إلا أن نحمل لهم هذا الدين كما أنزله الله تعالى بجمال أخلاقه وسمو مبادئه ، وإلا أن نبلغهم رسالة الإسلام مشفوعة بالصدق والإخلاص ، ومحبة الخير والسعادة والنجاة لهم . على أن يكون هذا الحمل والتبليغ بالسلوك والعمل قبل أن يكون بالدعوة والقول والجدل . اللهم أعنا على ذلك أنت وليّ ذلك والقادر عليه .

« ديموقراطية وحريات مزاجية تحكمها المصلحة والحاجة »

للمشرع الفرنسي أن يستصدر قانونًا أو أن يلغي آخر ، وكذا المشرع الألماني والإيطالي ، إلا أن الحضارة الحقيقية والرقي المدني الصادق ، يأبيان أن تكون هذه الاستصدارات أو الإلغاءات على حساب المبادئ والقيم التي على أساسها قامت حضارة مزعومة أو مدنية مُدَّعاةُ ، وديموقراطية وحرية تلغيان هذا الاعتبار هي أحرى أن تكون رهينة الحاجة والمصلحة أيًا كانت تلك الحاجة وتلك المصلحة . وهذا ما يحصل في الغرب مما يتعلق بالقضايا العرقية والتمييز العنصري ؛ فإن الذي كان يكتب على المحال والمطاعم : « ممنوع دخول السود والكلاب » هو نفسه الذي يوظف هؤلاء السود لتسويق البضائع والمصنوعات للرجل الأبيض ، وهو الذي يفتح لهم أبواب الشهرة ، وآفاق النجومية ؛ ولكن لحاجات ومصالح مادية لا احترامًا لمبادئ المساواة وقيم العدالة ، وليس أدل على هذه المزاجية في الديموقراطيات والحريات من حوادث القتل التي يتعرض

لها السود من قبل رجال الشرطة البيض ولأتفه الأسباب . وليس بعيدًا عن القارئ قضية « رودني كينج » الشهيرة التي وقعت في لوس أنجلوس الأمريكية ، وما تبع هذه القضية من أحداث وانتكاسات في عمق التحضر البشري والرقي المدني ... فحتى الأمانة والأمن والأمان ضاق ذلك كله في زحمة فقدان المبادئ والقيم .

من أجل عيون العلمانية فرنسا « تدق ناقوس الخطر »

وهذا ما حدث في فرنسا ، وبالفعل فلقد رأى القائمون على الكيان الفرنسي خطرًا متزايدًا على علمانيتهم المشؤمة (هكذا زعموا) وذلك في اعتقادنا لتزايد الحضور الديني للمسلمين وقد تمثل هذا الحضور بالنشاط الدعوي ، والإقبال على المساجد والمراكز الإسلامية ، وأصبحت المرأة المسلمة وخاصة المتعلمة بحجابها دعوة صارخة لهذا الدين . وداعية براقة للإسلام ؛ فإنها تنهل من العلوم ، فتدخل المدارس والجامعات ، وتتجول في الأسواق ، وتشارك في المحافل والمجامع العلمية والثقافية ، وتقود السيارة ، وتمارس

أرفع المهن ، كل ذلك وتاج العفة والحشمة على رأسها يدلل بأخصر كلمة وأقصر خطاب ، أنها بنت الإسلام ، ووليدة حضارة امتدت عبر القرون والدهور ، نعم هكذا الحجاب يفعل دون عقد ندوة أو حضور مؤتمر أو شيء من هذا القبيل .... ولقد عرفت فرنسا أن الحجاب للمرأة المسلمة شكل الالتزام بمبادئ الدين رمز الاحتشام والبعد عن الرذيلة ومساوئ الأخلاق . وهو للمرأة بنتًا وأمًّا وزوجةً عنوان أسرة قامت على الطهر والعفاف لتكون لبنةً في بناء إسلامي شامخ عتيد ... فَلِمَ لا تخشى فرنسا الحجاب ؟!! ولم لا تتهيبه ؟ ولم لا تحتال على الديموقراطية ، والحريات بأسرها لتصدر قانونًا يوقف هذا الزحف القادم ، ويخمد ذاك العملاق النائم الذي بدأ بالتحرك ؟

وإذا كانت العلمانية تعني فصل الدين عن الدولة ، وهو مبدأ يمثل استخفافًا بالعقائد وقلة أدب مع خالق الكون بملكه وملكوته ﷻ ؛ فإن فرنسا باستصدارها قانونًا لحظر الحجاب ، قد فعلت هذا وهي تعلم أنها تعدت على حق ، لا صيانةً لحق أو حقوق ، وإنما حماية لباطل أو أباطيل فلتهنأ ديموقراطية

فرنسا ، وحرياتها وهي تقدم دليلًا جديدًا على فراغ مدينتها وخواء حضارتها .

الحجاب ... والقلنسوة ... والصليب

وإذا كان هذا القانون إنما استصدروه كما زعموا حفاظًا على العلمانية وحماية لمعالمها ، فقولوا بالله عليكم : أي خطر هذا الذي يمثله على العلمانية قلانس اليهود وصلبان النصارى ؟ نعم أي خطورة تمثلها تلك الرموز على علمانية فرنسا وتحفها وكنوزها ؟؟ إذا كانت العلمانية نفسها لم تكن لترى النور لولا دعم اليهود ، ومباركة الكيانات النصرانية ومؤسساتها ؟؟ من الذي صنع فكرة فصل الدين عن الدولة ؟ وما الذي يضير علمانية فرنسا وقوانين تنظيم الدعارة فيها ، أو نوادي القمار ، أو مؤسسات الربا والتحكم في مصير المساكين والمحتاجين ؟

أقول : ما الذي يضير فرنسا بكل عوج في علمانيتها إذا لبس يهودي قلنسوة ، أو علق نصراني صليبه ، ما دام أن المزورين والمنحرفين من أبناء هذين يقرون أن تفصل عقائد ربهم وشريعته عن مسرح الحياة لتبقى ركنًا مظلمًا في معبدٍ

أو قداسًا يتيمًا في كنيسةٍ ... ؟؟ لا شيء البتة .

إلا أن الخطر الأكبر يكمن في هذا الدين بحجابه الذي يراه الكل في المسجد ، وفي المدرسة ، وفي السوق ، وفي العيادة ، وفي كل شيء من أركان الحياة .

حتى لقد حسب هؤلاء الغربيون أنه كابوس يؤرق منامهم وشبحًا يلاحق حياتهم ؛ إنه الإسلام بفطرته الذي قال : ما دام أن الخلق والأمر كلاهما للّٰه تعالى فلا ينبغي لذوي المروءات ، ومكارم الأخلاق ، ولا لأصحاب الحجي والألباب أن يقولوا لمن خلقهم من عدم وأسدى إليهم النعم.. نَحِّ عنا شرعك (حاشا .. وكلا) فنحن أعلم بمصالح أنفسنا وإدارة شؤوننا .... حمق وسخف وجهل علمانية أولئك .. ولأن اللّٰه تعالى وقى المسلمين شر صنائع الكائدين ومكرهم فقد ضاقت بهم الأرض بما رحبت وهم يرون صوت الحق يعلو فوق كل ناعق حتى في الديار التي باض فيها دعاة العلمانية وفرخوا ... ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

قانون فرنسا الأخرق

هل له أن يطال حجاب الراهبات

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

وماذا عن راهبات فرنسا ؟ هل يطالهن قانون فرنسا الأخرق ؟ أم إنها مما يقول الناس عندنا « special case » حالة خاصة ؛ لأن حجاب الراهبات يمثل فئةً من المجتمع الفرنسي بكل أطيافه وعرقياته قررت أن تلتزم بأصول التشريعات السماوية المتعلقة بحشمة المرأة المتدينة ، نعم هكذا يقولون إنها امرأة منقطعة لخدمة « الرب » فيجوز لها ما لا يجوز لغيرها ، أما حجاب المسلمات فلا ينسحب عليه هذا ؛ لأن الحجاب لا ينحصر في فئة من النساء دون أخرى ، إنه حجاب الصغيرة والكبيرة والقبيحة والجميلة والمنقطعة للدنيا والمتفرغة للآخرة ، المتعلمة والجاهلة ، والأدهى من ذلك الطبيبة والعالمة البيولوجية .... إنها حقًّا مصيبة أن ينقلب مجتمع فرنسا الراقي العلماني إلى كتل من الأقمشة والبراقع وأغطية الرؤوس .. إنها كارثة .. بل هو عار في جبين الأمة الفرنسية التي لم تكد تلتقط أنفاسها وهى تركل الكنيسة

بكلتا قدميها وكأنها الكرة لتضعها في الزاوية الميتة في هدف الحياة وملعبها الكبير ...

وهكذا هي المفارقة عندهم ... تبًّا لهم وتعسًا .... ولو أن مسلمة فرنسية رضيت لنفسها بأن تذهب لمدرستها بدون حجاب .. حريةً وديموقراطيةً ، لرضيت عنها فرنسا كلها بأحمرها وأصفرها . ولو أن هذه المسلمة نفسها قررت أن ترتدي الحجاب لقامت عليها ثورة المشرعين ولما قعدت ... ولو أن هذه المسلمة نفسها قررت هكذا أن تتنصر .. حريةً وديموقراطيةً ، تزداد تنصرًا فقررت أن تترهبن وتلبس حجاب الراهبات ... إني والذي نفسي بيده لو قلت غير مبالغ ولا مجازف لصفقت لها برلمانات فرنسا كلها البائد منها والسائد ، ولدقت لها نواقيس الكنائس والمعابد ، بل ولربما أَحْنَوْا لها برج « إيفل » تقديرًا وابتهاجًا ..

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

فرنسا تستفتي شيخ الأزهر
و « القانون الفرنسي جله مأخوذ من الفقه الإسلامي »

لم يكد « نابليون » ينتهي من تجهيز رَحْلِهِ للعودة إلى فرنسا حتى كان قد جمع هو ، ومن معه من رجالات القانون والتشريع ما لا يحصى من كنوز الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه ، ولم يمض كثير حتى تحولت تلك الكنوز إلى قانون فرنسي مدني استمدت معظم مواده من الفقه الإسلامي على وجه العموم ، ومن الفقه المالكي على وجه الخصوص ، ثم كانت عجيبة الدهر ، وقاصمة العصر أن توجهت الأوامر الخديوية إلى رفاعة الطهطاوي حينذاك لترجمة القانون المدني الفرنسي ، وصياغته باللغة العربية ، ثم أنشأ ما يسمى بالمحاكم المختلطة وأنشأت المحاكم الأهلية للتخصص في قسم الأحوال الشخصية بديلًا عن مجالس الأحكام الشرعية ، حتى تنبه لتلك الفادحة المخلصون الصادقون من علماء المسلمين ، ومفكريهم فذهبوا ينفخون في الأمة روح الإباء والاعتزاز بدينهم ، ويبعثون فيها حياة الثقة بشريعتهم ، فكتبوا الكتب وألفوا المؤلفات ، وكان من

بينهم عالم أزهري همام درس الشريعة ، ورحل إلى فرنسا يدرس قانونها وتشريعها فأذهله هذا التشابه الغريب والتقارب العجيب بين مواد القانون الفرنسي المدني وبين الفقه الإسلامي عامة وفقه الإمام مالك خاصة . فكتب كتابه : « المقارنات التشريعية » يوضح فيه بالدليل والنص أن تسعة أعشار القانون المدني الفرنسي مأخوذ من فقه الإمام مالك رحمه الله ، فكتب يستنهض همم ملك مصر وقتذاك وشيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق [1] حدث هذا في الأربعينيات في القرن الماضي ، وها نحن الآن في أوائل القرن الواحد والعشرين تأتي فرنسا لتستفتي علماء مصر في قضية الحجاب وكأنها لا تعلم شيئًا عن حجاب المرأة الشرقية لكنها الدبلوماسية الفرنسية التي لا تختلف كثيرًا عن حلوياتها وجاتوهاتها ... لا تسمن ولا تغني من جوع .

---

(١) انظر كتاب : « المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي » لمؤلفه الشيخ « سيد عبد الله على حسين » والكتاب من إصدارات دار السلام ٢٠٠١م .

إن فرنسا التي حكمت واحتلت بلاد المسلمين تعرف حكم الحجاب ، وتعلم علم اليقين قدره وحظه في هذا الدين وأنها عندما تقدم على استصدار قانون يمس شرف هذا الحجاب ويعبث بهيبته فإنها بذلك توجه إهانةً كبرى لألف مليون مسلم ولا ينجو من هذه الإهانة خاصة ولا عامة ، ولكن لِمَ وكيف تجرأت على هذا الفعل القبيح والعمل الشنيع ؟! تعال معي أيها القارئ الحبيب لنحاول وضع اليد على الداء والمبضع على الجرح .. واللّه هو المستعان .

* * *




فرنسا

تخلع حجاب الحرية والديمقراطية

هان الحجاب في الشرق فهان على أهل الغرب

الفصل الثاني

هوان الحجاب في الغرب

« أسباب وعوامل »




هوان الحجاب في الشرق قبل هوانه في الغرب « هان ديننا علينا فهان على غيرنا »

إن قضية الحجاب في فرنسا تتلخص عندي في أهم جوانبها بجملة واحدة : « هان الحجاب والدين على أهله فهان على غيره » هذه هي الحقيقة وإن كانت مُرَّةً ، لكنها الحقيقة بكل المقاييس ، لقد كانت فرنسا بجيوشها وأساطيلها ، وفي أوج إمبراطوريتها تخشى أن تمس أعتاب حجاب المرأة المسلمة أيام احتلالها لبلاد الشرق !! نعم لقد كانت تمشي المرأة المسلمة بنقابها ولا أقول بحجابها وفي أكثر الأحيان بالملاءة « الزم » التي تستر الجسد كله مع غطائين للوجه .

أقول : كانت تمشي المرأة المسلمة في سوريا والجنود الفرنسيون في كل مكان لا يجرؤ واحد منهم أن يهمس ، ولو همسًا يشين به الحجاب أو البرقع أو النقاب ، وما ذلك إلا لأن الحجاب في تلك الأيام كان جزءًا في كيان المرأة الشرقية - يعني المسلمة - وكان هذا الكيان محفوظًا محميًّا معتزًّا به من الرجال والنساء معًا ، بل إن هيبة الحجاب في بلادنا في تلك الأيام أملت حتى على النساء

النصرانيات أن يستترن ، ويحتشمن وكن كثير منهن يلبس الملاءات ويغطين الوجوه . وما ذلك إلا لأن الحجاب كان له هيبة عند أهله ، فانتقلت هيبته إلى غيرهم ، وكان الحجاب عزيزًا في نفوس المسلمين فعزَّ عند غيرهم . ولو هان الحجاب عند أهله في تلك الأوقات لهان على غيرهم ، وهذا هو حال الحجاب في هذه الأيام ، ولهوانه مظاهر ، إليك بعضها واللَّه المستعان .

مظاهر هوان الحجاب في بلاد الإسلام

١ - السفور والتبرج : (أو العودة لجاهلية ما قبل الإسلام) :

وكأن خروج المرأة سافرة متبرجة هو الأصل في لباس المرأة المسلمة ، وهو الظاهر والغالب ، وأما الحجاب فظاهرة ، وأما النقاب فغلو في تلك الظاهرة ، أو انتكاسة دينية نحو الإفراط والتشدد . وكل الذي فعلته فرنسا أنها قننت حظر الحجاب المتروك أصلًا في أصل بلاد الإسلام وعقر ديار المسلمات ، وإذا سألت عن السبب في تخلف المسلمين عن فرض من فرائض دينهم ؛ تجد الكل مسؤولًا

عن هذا الأب والأم والزوج والأخ ، وكل مسؤول حمَّله اللَّه تعالى أمانة حماية العرض والشرف . بل لقد كانت المتبرجات والسافرات وإلى عهد قريب يتبرجن بحشمة ويسفرن بتعفف .

أما وقد أبى الكثير منهن إلا أن يكن ريشة في مهب رياح العصر العاتية ، أو قطعة خشب مهترأةٍ في موجات التموض العالية .

لقد أصبح من المعيب في حق أولئك المسكينات إلا أن يكن كما قلت جزءًا من تلك الرياح ، أو بعضًا من هاتيك الأمواج .

فإذا أظهرت الغربية بطنها أظهرت الشرقية بطنها وزيادة احتياطًا وورعًا !! .

وإذا كشفت الأجنبية عن مقدم صدرها ، فعلت الشرقية الأمر نفسه مع شيء من الكرم العربي والسخاوة الأصيلة ...!!

سحقًا ... ألهذه الدرجة نزلت بنت الشرق بكيانها وعفتها ؟ وهذا كله أمام الزوج والأب والقريب والبعيد حتى يكاد يخيل للمرء أن الأسرة كلها قد انقلبت حواء لا ذكران فيها .

٢ - حجاب وشيشة او « المحجبة اللعوب » :

وهل يعقل أن يضيع الحجاب ومعناه ، أو يفقد بناءه ومبناه ، أو يكون حال المرأة سُفورًا وتبرجًا أو سترًا مفسدًا وحجابًا مثيرًا ملهبًا ؟

نعم ... لقد شاء جمع من النساء أن يخرجن عن المألوف ويعاكسن الاتجاه السائد ، فقررن ارتداء الحجاب ولكن بقدمٍ في أرض العفة وأخرى في غيرها ، وكأن لسان حالهن يقول : ومن ادعى أو زعم أن الخلاعة والتهتك والميل بالأجسام والخصور والصدور « مع المطربين » حكر على السافرات المتبرجات ، ومن قال : إن المحجبة لا يمكن أن تكون « لعوبًا » بل هي أحرى وأولى من غيرها ، إذ إنها بسترها الكاذب تنبئ عن إمكانات عالية ، وتخبر عن شهوات عاتيةٍ ؛ بل هي بحجاب الرأس مع البنطال الضيق جدًّا جدًّا . الذي واللَّه لو كان له لسان لقال : « أغيثوني لقد كدت أموت خنقًا » أو هي بغطاء رأس مع الأحمر والأصفر ، وكل ألوان الطيف أقدر على نيل إعجاب المعجبين . ورضاء الطالبين !!! أهذا هو الحجاب الذي أمر

اللَّه تعالى به ؟؟! أم هذا هو التستر الذي شرعه الإسلام وأراد أن يكون تاجًا على الرؤوس يدل على الحشمة والعفة بلونه وطريقة وصفه ومشية صاحبته وصوتها وكل شيء فيها ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ .. ؟؟!!.

لا وألف لا ، وأما حجاب ورقص ، أو حجاب وشيشة ، أو حجاب وصديق ، فهو ليس إلا أن يقال : « شيطانة معتزلة » وحجاب هذا حاله لا يستحق من فرنسا ، ولا من غيرها أن تجعل له ميزانًا أو تضع له اعتبارًا ، ومحجبة هذا حالها لو أنها وضعت على رأسها أكوامًا من الأغطية والستور ، فلن تعدو كونها شيطانة مستترة ، أو إبليسة متحجبة .

« إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجر »

٣ - وسائل الإعلام في الشرق تخلع ثوب الحياء :

ماذا أقول عن وسائل الإعلام العربية الإسلامية ؟ وماذا أقول عن ذلك السباق المحموم في حلبة الفضائيات في بلاد الشرق المسلم ، وكأنه سعار أو فيح من جهنم ؟ ولا أدري كيف ستمتلئ قلوب ساسة الغرب ، ورجالات التشريع

عندهم هيبةً للحجاب وأهله ، وهم يرون هذا الكم الهائل من العفن الأخلاقي ، والترهل الإباحي ، والتسابق البهيمي في كشف العورات ، وإبراز المخبوء والمستور ، وماذا سيفعل طلب الاستجداء الذي نقدمه لفرنسا وغيرها من دول الغرب وهو طلب مشفوع بخواتيم الدعر وتوقيعات التحلل والفجور ؟؟ وماذا سيفعل خطاب الدبلوماسيين والرسميين وظاهره يناقد باطنه ؟ وكيف نهاجم فرنسا لتعديها على الحجاب بقانون واحد ونحن أول من تعدى على الحجاب في أرضه ووطنه بألف قانون ومرسوم ؟ وإلا ماذا يعني أن يكون الحجاب في بلاد الإسلام غير ممنوع ، وآلاف المظاهر الأخرى المرخص بها تلطم على وجه الحجاب ، وتنال من قدسية وشرف المحجبات وسترهن ... صور سافرة على الجدران .. ومجلات داعرة على الأرصفة والطرقات ، وأفلام ماجنة في دور السينما ومحالٌ أندية الفيديو والسيديهات . وأما ما يسمى « بالفيديو كليب » فشيءٌ تتقزز له النفوس ، وتقشعر منه الأبدان ، إنه لم يبق في تلك المسخ ، والتشوهات إلا أن يستَعْلِنْ الناس بالزنا ... ويا ليت شعري هل يحق لنا ، أو هل نجرؤ وهَذا حالنا أن نقول

لفرنسا : احترمي الحجاب ونحن أول من نهتك حرمته صباح مساء ، وقديمًا قالوا : **إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجر ...**

الحجاب في بورصة الأوراق والآراء البشرية

٤ - تمييع أصول الإسلام وفرائضه :

وصدق النبي ﷺ : « **لتتبعن سنن الذين من قبلكم ذراعًا بذراع وشبرًا بشبرٍ حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** »

لكني أصدق القارئ القول ؛ لم يكن ليدور في خلدي يومًا أن اتباع هذه الأمة للغرب سيصل إلى هذا الحد ، لقد تجاوزنا الفروع ، ودخلنا دائرة الأصول ، وإذا كان المهيمنون على الغرب من أولاد القردة الخنازير قد سعوا - ومنذ وقت طويل - إلى تمييع الثوابت التي يقوم عليها المجتمع الانساني هناك في الفضائل والأخلاق ، وثوابت الفطرة والجنس . حتى صار كل شيء هناك كالأسهم في البورصة تصعد وتهبط ، أو تقبل الربح والخسران ، فصار الشذوذ عندهم

مسألة فيها نظر ، وكذا الإجهاض والكفر والإلحاد ، ولكن أن يصل هذا التمييع الشيطاني إلى بلادنا ؛ فيقتحم أسوار الأصول والثوابت والفرائض !! . فهذا أمر لم أكن ليخطر في بالي من باب حسن الظن بهذه الأمة برغم ما هي عليه من تهالك على كل أجنبي ، وترامٍ في أحضان كل مستورد .. يا لعار المسلمين أن يشاهدوا على محطات التلفاز في دول إسلامية ندوات ولقاءات ومناظرات عن الحجاب والميراث والوصية وتعدد الزوجات .

ولا ندري إلى أي حد ستنتهي إليه قائمة هذا العبث الرخيص والتخليط المشبوه والتمييع المقصود ، فإذا كان الحجاب في بلاد الشرق مسألة للنقاش تقبل الصواب والخطأ ، وتتسع للرأي والرأي الآخر ، فبأي عين نطالب فرنسا والغرب باحترام الحجاب ، ونحن لسنا جازمين بَعْدُ في أمره ؟ وبأي حق نقول للآخرين لا تمنعوا النساء المسلمات في بلادكم في ارتداء الحجاب إذا كنا نحن نرخص لهم في بلاد الإسلام في خلعه بفحوى حلقة تليفزيونية أو مضمون ندوة إعلامية ، وهل المتشكك في

الأمر يستطيع أن يقنع غيره ؟؟!! ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ وأنا في الحقيقة آسف أشد الأسف وأنا أرى فقيهًا أو دكتورًا جامعيًا يقبل على نفسه وعلمه أن يجلس في تلك اللقاءات أو يحضر تلك الندوات ، نعم كيف يقبل أن يجلس في مجلس يجعل فرض اللَّه تعالى أمرًا للمناقشة أو المجادلة وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ ؟؟!!

إن أولئك العابثين والمشككين في ثوابت هذا الدين ليس مكانهم على كراسي المناقشة والمجادلة ، فليسوا طرفًا أصلًا في قضية قد حسمها رب العالمين ، وإنما فرض هؤلاء أن يكونوا في مزبلة التاريخ التي تتسع لأطنان من أمثالهم ، وأما الحائرون والباحثون والسائلون ؛ فهؤلاء إذا جلسوا مع علماء الإسلام وفقهائه ، فليجلسوا على كراسي التعلم وطاولات الاسترشاد وطلب الهداية . ولو فعلنا غير ذلك لكنا أسبابًا في هوان هذا الدين على أهله ولن نملأ بعد ذلك - مهما جهدنا - عين قط فرنسي

فضلًا عن أن نملأ عين مُشَرِّع أو برلماني منهم [1] .

(١) لقد كان لتلك المناظرات والمساجلات حول فرضية الحجاب أسوأ الأثر في نفوس كثير ممن شاهدوها على قنوات التليفزيون والفضائيات ، وخاصةً عندما يستضاف شيخ ضعيف البيان قاصر الحجة مما شكك كثيرًا من المحجبات أو غيرهن في فرضية الحجاب ، وقد حدثني من لا أتهم أن بعض المحجبات خلعن الحجاب ، والبعض الآخر عزفن عن فكرة لبسه وارتدائه ، فهل بعد هذا الفساد من فساد ؟ وهل بعد هذا الضرر من ضرر ؟ إن الحجاب بمعنى ستر المرأة بدنها ما خلا الوجه والكفين بأي شيء يستره مما ليس فيه تحديد أو وصف لعورةٍ فرض في فرائض الإسلام ، وأصل من أصول التشريع وعلى هذا إجماع المسلمين سلفًا وخلفًا ، وإنما خلاف علماء المسلمين في الوجه والكفين ومنه اختلافهم في النقاب . هل كان خاصًا بأزواج رسول الله ﷺ أم كان عامًّا في حق النساء جميعًا ؟! وقد بينت هذه المسألة ، وأوضحتها أوضح بيان ، وبينت حكم المنكرة لأصل الحجاب في كتبي السابقة ، انظر كتابنا : « موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي » . فقد بينت هناك عند الحديث عن عورة المرأة في الصلاة ما يتعلق بهذه المسألة من مسائل الإجماع ، وانظر كتابنا : « النقاب ودعاة الاختلاط » ؛ فقد وضحت فيه الفرق بين المتفق عليه وبين المختلف فيه . ونبهت كذلك على حكم المنكرة للحجاب في الجملة ، وأنها بعد إقامة الحجة عليها وتبيين أنه من فرائض الإسلام وأصول الشريعة في أنها إذا أصرت على إنكارها فإنها تعتبر خارجة عن الملة لها حكم المرتد سواءً بسواء ، إلا أن أحكام الردة وما يتعلق منها بإقامة الحدود لا تقام إلا بأمر السلطان لا غير ، والله المستعان .

سلطة « الديشسفور »

٥ - برنامج ديني ... وشيخ .... ومذيعة سافرة :

وعذرًا للقارئ لهذا النحت اللغوي الذي أفرز هذه الخلطة ، والسلطة الجديدة التي أصبحت شائعة منتشرة في كل مطبخ للبرامج الدينية .... دين وشيخ وسفور ... ما هذا الخلط والامتهان لشعائر الإسلام وكلياته الكبرى ؟! إن هذا الذي نشاهده اليوم على شاشات التلفاز والمحطات الفضائية تحت تبريرات ساذجة أو اعتذارات مريضة جاهلة لن تصب في النهاية إلا في مصب واحد ألا وهو التهوين والتقليل من شأن الحجاب وثوابت الإسلام ، بل والدين كله ... ومتى كانت المذيعات يجرؤن أن يجلسن سافرات ممكيجات أمام أساتذة الفقه وشيوخ القراءة ، ودكاترة الدين وفي برامج دينية تتحدث عن الهجرة والإسراء والمعراج ونحو ذلك ، برامج ليس فيها إلا قال اللّٰه وقال الرسول ﷺ ، وإذا كانت المذيعة السافرة لا تدري أنه من العيب وقلة الأدب والحشمة مع كلام اللّٰه تعالى وكلام رسوله ﷺ إذا جلست مع الأجانب (غير المحارم) من الرجال أن تجلس

على هذه الهيئة ، **أقول** : إن كانت هي لا تدري هذا ، أفلا يدري هذا الشيخ أو ذاك الدكتور أو الفقيه ؟ ألا يستحي أن يلقي دررًا في كتاب اللّٰه تعالى وكلام رسول اللّٰه ﷺ . وبين يديه من تجلس متلبسة بمعصية اللّٰه ورسوله ﷺ ؟!! .

أم لا يخجل هو أن يرى ويسمع من متبرجة تتحدث عن شرع رسول اللّٰه ﷺ ، وأخلاق رسول اللّٰه ﷺ ، ووصايا رسول اللّٰه ﷺ ، وهي أول من عصت كلامه وخالفت شرعه وهداه ؟!! .

أليس هذا في لسان حاله سكوتًا على ما يسخط اللّٰه ورسوله ؟

وأليس هذا في ظاهره ومعناه إقرارًا على ترك الحجاب والترخيص بالتبرج والسفور ؟؟!! .

ومهما قال هؤلاء وقالوا ، ومهما حاولوا وصاولوا ليعتذروا وليبرروا ؛ فإن الغرب لن يرى إلا شيخًا أو دكتورًا إسلاميًا يجلس أمام سافرة يتجاذبان أطراف الأحاديث الدينية وبمنتهى الروحانية والتفاعل والتأثر مما يقدم لهذا الغرب أقوى دليل وأرسخ حجة على أن الحجاب هذا الذي

تطالبوننا أن لا نمسَّ هيبته ليس هو عندكم أصلًا بهذا المحل الذي ادعيتموه ، وليس بالمكانة التي شغبتم علينا بها ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

٦ - فتاوى على الموضة « جاهز وتفصيل » :

عندنا في الجامعة مادة ندرسها لطلابنا في قسم البكالوريوس والماجستير تسمى « فقه النوازل » يدرس فيها الطلاب بعض القضايا الفقهية المعاصرة لدراستها فقهًا وأصولًا وتكييفها التكييف الشرعي ، أو نقول بلغة الأصوليين لتخريجها على أصولها الشرعية ، هذا ما يدرسه بعض طلابنا في الجامعة ولو أنهم نزلوا إلى ساحة الواقع قليلًا لوجدوا مادة أخرى لا تقل تشويقًا ، وإثارة عن تلك المقررة عليهم إنها مادة « فقه التنازل » !!! إنه لمما يضحك الثكلى ويبكي السلوى ، أن ترى فتاوى تناسب كل المقاسات ، وتستوعب مختلف الأمزجة والهوايات ..

حجاب وغناء ... أو حجاب وتمثيل ... وحجاب ومكياج

ومقدمة برامج ... وقد يأتي غدًا .. حجاب ورقص [١] .. ومن يدري ... أو حجاب وعرض أزياء .. وما ذلك عن فتاوى الموضة ببعيد .

ولعلَّ سائلًا يقول بحسن نية وصدقِ استرشاد : وما المشكلة في أن تكون المحجبة مغنية « مطربة » ؟ وخاصةً إذا أدت باحتشام ، وأطربت بمعان لا تخالف ذوقًا ولا شرعًا ؟ .

ولعل السؤال نفسه يُطْرَح عن التمثيل والإذاعة والتليفزيون .

نعم للسائل أن يقول : وهل إذا أدت ممثلة بحجابها دورًا إنسانيًا أو إسلاميًا أو اجتماعيًا أو إلى آخره ، وهي بكامل عفافها وحشمتها هل في ذلك ما يتعارض مع الدين أو معنى الحجاب ؟ وقل الأمر نفسه حول مذيعات التليفزيون والقنوات الفضائية .

والجواب المفصل عن هذه الأسئلة ، وما شابهها قد فرغنا منه في كتبنا السابقة بتفصيل علمي على طريقة الفقهاء والأصوليين [٢] . إلا أن المقام هنا لا يتسع لمثل هذا لكني

---

(١) حدثني من لا أتهم أن هناك محجبات يرقصن في نوادي « الديسكو » ، ولا أظن أن أحدًا حتى لو كان سفيهًا قد أفتى بحل هذا .

(٢) انظر كتابنا « المجتمع المختلط . صور وأحكام » ، وانظر كذلك كتابنا « الدعوة إلى إباحة الاختلاط . أخطر بدعة اجتماعية » .

أقول باختصار شديد : إن المشكلة كلها تكمن في فهم الحجاب بشكله ومضمونه ، فالحجاب بشكله ومضمونه ليس إلا حكمًا واحدًا في جملة من الأحكام التشريعة جاءت لتخدم غرضًا واحدًا ألا وهو حماية الأعراض ، ومنع التعدي عليها ، ومن تلك الأحكام : غض الأبصار ، ومنع الخلوة والاختلاط ، وتحريم التغنج والإمالة بالقول والخطاب من الجنسين ، ومنع كل ما يثير الغرائز ، ويحرض على الحرام من كلمة ، أو مقالة ، أو صورة ، أو طريقة مشيةٍ ، أو حديث ، أو لون ثوب ، أو ريح عطر ، وفي النهاية يخلص الشرع الحنيف إلى حفظ الفروج الذي أمر به ، وهذا قمة في التناسق والرحمة والإعانة من اللّه ﷻ فإذا قال ربنا : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ وذلك نهيًا عن إمالة الصوت ، وإخضاع المخاطب بلينه وعذوبته ورقته أو تكسره وتغنجه ، فهل يعقل بعد هذا إطراب من امرأة بدون ترقيق صوت ، وتحسين نبرةٍ وترنيم أداء إلا أن تكون هذه المطربة نائحةً من النائحات ، أو مولولةً من المولولات ، وحينئذٍ لا التفات لصوت ولا لأداء ، وإلا خبروني باللّه عليكم أي منتج فني هذا الذي يرضى من المطربات المحجبات أن يغنين بشرط ترقيع الصوت وتجشيته !! ولو

حدث هذا لما رأيت سوقًا للغناء ولا كرامة .

وأما التمثيل : فمهما كان دور الممثلة شريفًا وعفيفًا فلا يمكنها أن تفصم دورها عن بقية الأدوار ، ولا مشهدها عن سائر المشاهد وهذه المشاهد ، في غالبها الأغلب لا تخلو مما يخالف الشرع ؛ كالنظر والملامسة وربما القبل أو المعانقة في مشاهد تحل ما حرم اللَّه ، وتحرم ما أباح اللَّه ، فهذه تنام مع فلان على أنه زوجها في الفيلم وبقميص النوم وحتى ولو كان قميصًا مُستِّرًا ، وهذا يُقَبِّلُ فلانة على أنها ابنته أو زوجته ، ولو كانت قبلة عاطفية فكيف ترضى المسلمة بحجابها أن تكون مساهمة ، ومشاركة في عمل فني - هكذا زعموا - تفصيلاته جملة من المخالفات الشرعية المجمعة عليها .

وأما المذيعة التليفزيونية المحجبة : فكيف توفق بين عملها وبين قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ في أن الأصل أن البيت هو قرار المرأة وملاذها ، وأنها لا تخرج إلا لحاجتها أو لحاجة الأمة مما لا يقدر على مثله الرجال . وهل يعقل أن يأمر ربنا الرجال بغض الأبصار عن النساء إذا خرجن من بيوتهن لحاجاتهن ، ثم نأتي ونقول للمرأة اخرجي على الملأ

وكوني محطًّا لأنظار ملايين البشر على اختلاف مقاصدهم وتلون رغباتهم واستعداداتهم الغريزية ، وكم سمعنا من يتغزل بالمذيعة الفلانية أو المذيعة العلانية ، أترضى مسلمة تنشد الطهر والعفاف أن تكون وسيلة من وسائل الشيطان أو أحبولة من أحابيله ؟! وهل يصح أن تقول هي أو غيرها المشكلة في المشاهد وليست فيَّ !! أتخرجي على الناس في أحلى وأزهى حجاب لتقفي أمام الكاميرات لينقلوا صورتك عبر الهوائيات والفضائيات ثم تقولي لهذه الملايين حاولوا أن لا تتأثروا بجمالي ولا تتأثروا بحسن صورتي .. هذا منطق ، ومنطق الشرع يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ وهل يرضى رجل شريف أن يتغزل أحد بأخته أو بأمه أو بابنته أو بزوجته ، ولقد حدثني أحد الشباب أن من بين المشكلات التي يعاني منها هو وغيره من الشباب مما يثير الغريزة ويلهب الشهوة مذيعات التليفزيونات والفضائيات ، فلا يختار لهذه الوظيفة إلا الحسناء الوضيئة ، ومهما تحجبت فإن وجهها المعروض على الملايين هو رمز جمالها ، وعنوان فتنتها . ولذلك أمر اللَّه تعالى بالمباعدة بين النساء وبين الرجال حتى

في الصلوات في بيوت اللَّه فقال النبي ﷺ في الصلاة : **« خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها »** .

ولهذا المعنى كذلك رغَّب النبي ﷺ المرأة في أن تصلي في بيتها غير ممنوعة من أن تصلي في المسجد بالشروط التي ذكرها العلماء ، لكنه ﷺ جعل صلاتها في بيتها خيرًا من صلاتها معه عليه الصلاة والسلام في مسجده في أحاديث كثيرة صحيحة وحسنة ، وهو أمر أجمع العلماء عليه قديمًا وحديثًا إلا لحضور درسٍ علمي ، أو استفتاء ، أو نحو ذلك .

وفي هذا القول كفاية لمن كانت لها من اللَّه أدنى عناية . وباللَّه التوفيق .

٧ - الدعاة « الهواة » أو الداعيةُ الـ « مودرن »
(أفسد على الدين من أعدائه) :

انتشرت في هذه الأيام موضة « الدعاة الهواة » ، « أو الداعية المودرن » ولعلَّ كثيرًا من الناس لا يعرف أو ينسى أن هذه الموجة من الدعاة « الشيك » ، وبأقل المؤهلات العلمية المطلوبة إنما جاءنا نصفها من الغرب ، ونصفها الآخر

لا أدري من أين ؟ لعلَّه من كوكب آخر لا يعلمه إلا رؤساء ومديرو البرامج الدينية في القنوات الفضائية .

أما النصف الأول : فلا شك أنه يتناغم مع موجة ما يسمى : « بتحديث الخطاب الديني » المستمد من الغرب قلبًا وقالبًا ، فهكذا يقف ما يسمى بـ « المينستر » أو « الإيفانلجيلست » أمام جموع الحاضرين في المدرجات ببدلته الأنيقة وحذائه اللامع ، حليقًا « مكلونًا » ، وكلما كان وسيمًا كان أفضل وأحسن يعظ ويذكر ، ويمشي تارة يمينًا وأخرى يسارًا على خشبة مسرح أو منصة القاعة ، ويتكلم غالبًا بالعاميّة مع شيء من الفصحى ، وأوفرهم نصيبًا أحسنهم تأثيرًا في الحاضرين ، لا يهم نوع هذا التأثير ، ولا مدى جديته ولا ما هي مدته ، أهي ساعة أم يوم أم شهر ، مع مراعاة أن تكون مدة الحصة الدينية أشبه ما تكون بـ « الإنترتينمنت » الترفيه أو الإمتاع الديني ، وهذا ما يفعله المبشرون النصارى الغربيون ، ولقد تنبه لهذا القائمون على البرامج الدينية في قنواتنا الفضائية ، فزعموا بالفعل والحال ، أنه ليس من شرط الداعية أن يكون شيخًا بجبة

وعمة أو حتى بلحية وقلنسوة ، بل إنه من المستحسن أن لا يكون بهذه الأوصاف فهذا أحرى أن لا يكون منفِّرًا ، ولا بأس أن تكون هذه الوسائل الموصلة للهدف على حساب سنن المصطفى ، وهديه ﷺ ، ولأن هذه الأمة تعاني من شعور بالضعف والهوان ، وقناعة بمركب النقص ، فمن الطبيعي والحال هذه أن يتبع الغرب أساليبه فيما يخص أخص خصوصيتنا وهو هذا الدين ، فهذا مما يتعلق بالنصف الأول المستورد .

وأما النصف الثاني الذي ليس له « ماركة صنع » : فهو هذا الصنف من الدعاة غير المؤهلين ، ولا المتخصصين يُسلِّمُون أمانات توجيه الأمة بشبابها ورجالها ، ونسائها وبناتها ، ومعظمهم ممن ينطبق عليه وصف « ثقَّف نفسه بنفسه » وهذا ضرب من العبث ، وقلة الاحترام لهذا الدين ومعارفه وضوابطه .. نعم الإسلام للجميع ولا كهنوتية في الإسلام .. يعني هذا في التطبيق والممارسة ، ونعم الدعوة إلى اللَّه على الجميع ومن الجميع ولو بالآية والحديث الواحد أو بالكلمة الطيبة ... أليس قد قال ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية** » . وقال :

« **نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فأداها كما سمعها** » .. كل هذا صحيح لكنه بمعنى التبليغ والنقل، ويكون هذا فيما توثق الناس في صحته ولا يحتاج إلى نوع « تخصص » في نقله وتبليغه مما يدخل تحت المعارف والأصول والمعالم الرئيسة في هذا الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا وشبهه يستوي فيه الخباز والجزار والطبيب والمهندس وحتى « المكوجي » له أن يكون داعيةً بهذا المعنى .. لبائع الجرائد أن يقول كلمة طيبة لمن يشتري منه جريدة الصباح ، وللزبال إذا رأى مُنْكرًا أن ينهى عنه . فالدعوة بهذا المعنى لا تقتصر على طائفة من المسلمين دون أخرى ، بل هي على العموم مما يدخل في قوله ﷺ : « **والكلمة الطيبة صدقة** » ..

فإذا وصل الأمر إلى مناصب التوجيه ، ومراتب الإرشاد، ومنازل التربية مما ترصد له المنابر ، وتهيأ له الدروس في المساجد أو المحاضرات في المراكز والمعاهد ، أو تخصص له البرامج الإذاعية والتليفزيونية مما يحفه أخطار الكلمة وتأثيراتها وتبعات المعلومة وعواقبها ؛ فقد دخلنا في ميدان التخصص والانتقال من مرحلة التبليغ والنقل ، إلى مرحلة العلم والمعرفة للمعلومة المنقولة ونشر المفاهيم

والتصورات المنبثقة عن تلك المعلومة .. وهنا لابد من نوع تخصص ولو في حده الأدنى ، والتخصص معناه : تحصيل ما يلزم الداعية في العلوم والمعارف التي تمكنه من نقل المعلومة الصحيحة بمعناها ومفهومها الصحيح ، ولا يصح في هذا الحال ما يسمى : « كون نفسه بنفسه أو ثقَّف نفسه بنفسه » فهذا كله لا اعتبار له في مناهج علماء المسلمين وقواعدهم وهذا التخصص ؛ إنما هذا التخصص له سبيل واحد وهو التلقي والتحصيل عن المتخصصين ولو كما قلت في حده الأدنى ، وهذا الحد الأدنى إنما يضبطه أهل العلم والمعرفة .. ولا يهم بعد ذلك أن يأخذ هذا التحصيل أو التلقي شكلًا « كلاسيكيًا » عن طريق التلقي على شيخ وعالم وقراءة ما تيسر من مفاتيح العلوم المطلوبة في الدعوة ، أو أن يأخذ شكلًا حديثًا « أكاديميًا » عن طريق دخول المعاهد والمدارس والكليات ، المهم أن أدوات والآت الدعوة قد تحصلت عن طريق صحيح يؤمن فيه على العامة من الناس من أن تصلهم معلومة خطأ ، أو تصور شاذ ، أو تفسير خاطئ لآية أو حديث ؛ فيكون الضرر أكثر من النفع ، ولا يقصد بالضرر والنفع هنا الكم من الناس قلوا أو كثروا ، ولكن يقصد به نوع المعلومة أو الفكر ، أو التصور

الذي نقله هذا الداعية غير المتخصص للناس [١] .

ولعلّ القارئ يبادرني فيقول : وهل الخطاب الديني في الغرب بهذه الارتجالية والفوضى ؟ .

والجواب : بالطبع لا ، وهذا النصف هو الذي قلت إنه : « ماركة بلا صنع » ، وإنهم في الغرب رغم أن ما ينقلونه للناس في خطابهم الديني فحواه ومبناه في غالبه باطل ومصادم للحقائق العلمية والتاريخية والبشرية إلا أنهم حرصوا على أن يكون هناك نوع تخصص في نقل هذا الباطل إلى الغير !! نعم هذا الواقع عندهم ... !! نظموا الدورات والمدارس والمعاهد ، ودربوا هؤلاء على القيام بجولات ميدانية وعقدوا بينهم المسابقات ورصدوا لذلك

---

(١) في أحد حلقات بعض البرامج لأولئك الدعاة الهواة قال أحدهم وهو يعالج مشكلة تارك للصلاةِ مصاحبٍ لفتاة يعني « بوي فريند » والمشكلة هي أنه إذا أمر بالصلاة وترك « الجيرل فريند » ، فإنه ربما في أغلب الأحيان لن يصلي ، فما العمل ؟ فلم يكن من هذا الداعية « الهاوي » إلا أن اقترح أن يقال له : ابق على ما أنت عليه من مصاحبة هذه البنت وصل ، وشيئًا فشيئًا نصل به إلى ترك البنت والمحافظة على الصلاة !!! فهذه عينة في نقل المعلومات والتصور الخاطئ من داعية هاوٍ ، وخرجت على شكل إذنٍ وتصريح بما أجمع المسلمون على تحريمه .

الجوائز والشهادات التقديرية . كل ذلك حتى تضبط كلمة الكفر والشرك . وحتى ينظم الضلال أحسن تنظيم أفليس أهل الحق والإيمان والتوحيد أولى بهذا ... اللهم نعم . أما الداعية المودرن « فهو العجب العجاب » .

« الداعية المودرن وقضية الحجاب »

فلقد سمعت من بعض هؤلاء الجرآء ما تشيب له الرؤوس وتختل له العقول ، فمن قائل : إن الحجاب لا يشترط على الهيئة المعروفة ، وإنما للمرأة أن تجعله قبعة أو لفافة تناسب العصر ، ولا تلفت النظر !!! ... لقد قال هذا الكلام أحدهم وهو يسأل عن قضية الحجاب في فرنسا مدافعًا عن موقف أحد المشايخ ؛ فإذا كانت المرأة المسلمة في فرنسا تُنصح مِنْ قبل هؤلاء ، وأمثالهم أن تمارس حقها ولكن بخجلٍ وحياء وتوارٍ فمن أين يكون لحقها هذا الصوت المسموع إذا كان خافتًا ضعيفًا في نفسها أولًا ....؟؟!!! .

« تنازلات في الدين واستجداءات »

وهذا نوع آخر في الدعوة « المودرن » قد غزا القنوات

الفضائية خاصةً ، وهو أن يُسْتقْدمَ الشيخ الداعية « المودرن » لبرنامج من البرامج يجمعه بلفيف من البنات والشباب ، والبنات يجلسن في مواجهة الشباب أو إلى جانبهم ، ومنهن المحجب ومنهن غير المحجب ، والشيخ الداعية يتبادل معهم ومعهن الأفشات الضاحكة ، وكأن جلوس شابة غير متحجبة أمامه ليس له أي معنى في الشرع ولا يمس أصلًا أو يمثل انتهاكًا لأي حكم شرعي ، وبذا يكون هذا الداعية قد قدم قرابين القبول والرضى من الجمهور والقائمين على تلك البرامج ...!!! أيصح هذا في منطق الشريعة الغراء .... وإلى هذه الدرجة يستهان بقضية الحجاب ... ثم نحن نطالب فرنسا أن تحترم حجاب المسلمات عندهم ، وهم يروننا ليلًا نهارًا ونحن ننتهك حرمته ونستهين بقدره بمختلف الوسائل والمظاهر ، وجماعة من قومنا حسبوا أن الغرب لا يدري ما الذي يجري في بلادنا ...

وأنا أقول لهؤلاء الطيبين : إن هناك أناسًا متخصصين ومتفرغين فقط للاطلاع على أحوال الشارع المسلم في مصر وسوريا ولبنان ، وفي كل بلد وسَقْع من بلاد الإسلام ، وهؤلاء على صله بإدارات الحكم والتوجيه في بلادهم ،

وهؤلاء يصلون بلادنا ، ويسكنونها بصفات وصبغات مختلفة ، منهم الدبلوماسي ، ومنهم الأستاذ الجامعي ، ومنهم المستشرق الباحث ، ومنهم العالم الأثري ، ومنهم التاريخي ، ومنهم الصحفي والإعلامي ، والقائمة تطول وتطول .. إلا أنهم في النهاية يقدمون سيلًا من المعلومات لأجهزة البحث والدرس الرسمية في بلادهم ، وذلك حتى يحيطوا ببلادنا معرفةً وعلمًا من كل جانب ، فإذا اتخذوا قرارًا في السلم أو الحرب اتخذوه وهم أقرب ما يكونون إلى الصواب المأمول والهدف المنشود ...

نصيحة من القلب إلى كل داعية « شاب »

أيها الشاب المسلم الطيب المتحمس بارك الله فيكم وبارك عليكم وحفظكم وبنات المسلمين من كل سوء وكل فتنة ... أعلم أنكم في مقصد نبيل وفي مسعًى حميد ، وأرى في وجوهكم أنوار الأمل وفي عيونكم بريق المستقبل الوضاء . ولكن حذاري من الدعوة بدون علم ، ومن العلم بدون عمل ، ومن العمل بدون موافقة لكتاب الله تعالى وهدي النبي الحبيب ﷺ ، وحذاري من كل هذا بدون

مراقبة للّه تعالى وحضور قلب وإخلاص نيةٍ .

أيها الشباب أنتم زهرة الحياة . وعبق الوجود ... أنتم حلاوة الدنيا وعاجل لذة الآخرة .

أيها الشباب المؤمن الداعي إلى اللّه ... أنتم محل أطماع المعتدي . ومركز كيد الأجنبي .... فلا يؤتى الإسلام من قبلكم يا أولادي .. إنكم أغلى ما في الوجود ، وبضاعتكم لا يقْدِرُ على ثمنها أحد فلا تبخسوا سعرها . ولا تحقروا قدرها .. يا أولادي كونوا دعاةً ... ولا تكونوا دعايةً ، كونوا وسائل الرحمن ولا تكونوا حبائل الشيطان .. يا أولادي سوِّقوا للآخرة في قنوات الطهر والعفاف . ولا تسوِّقوا للدنيا في قنوات الفحش والفساد ...

يا أولادي لا تستفتوا زائغ القلب مفتون الفؤاد أعمى البصيرة ، من قلبه مِنْ وراء لسانه ، واستفتوا العالم الرباني الذي يكون لسانه من وراء قلبه .

يا أولادي إذا خرجتم على الناس فاخرجوا عليهم بمحيى المصطفى ﷺ وسمته . أعفوا عن لحَاَكُمْ وقصوا شواربكم ، والبسوا المحتشم من الثياب ، وإذا خرج البنات معكم

فليخرجن محجبات متجلببات .

يا أولادي إذا علمتم ودعوتم شبابًا ، وبنات في محفلٍ واحد فاقتدوا بأمير الدعاة ، وسيد المعلمين صلوات اللَّه عليه ، الشباب (أو الرجال) أمام المعلم أو الداعية ، والبنات « أو النساء » خلفهم لا وسطهم ، ولا إلى جانبهم ، وباعدوا بين أنفاس الشباب وبين أنفاس البنات ، فلقد صح عنه ﷺ أنه قال : « **خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها** » .

وكن النساء يصلين خلف النبي ﷺ ، فإذا سلَّم رسول اللَه ﷺ من صلاته سلمن ، وقمن مسرعات إلى بيوتهن قبل أن يلتف النبي ﷺ حتى لا يدركهن الرجال ، وصح أن الفضل كان رِدْفَ النبي ﷺ فجاءت امرأة تستفتيه ﷺ ، وكانت وضيئة فطفق الفضل ينظر إليها ، فلفت النبي ﷺ وجهه عن النظر إليها ، فعاود الفضل ، فعاود النبي ﷺ حتى كاد ﷺ أن يلوي عنق الفضل ، فوجد العباس عم النبي ﷺ في نفسه ، فقال : لقد كدت أن تلوي عنق ابن عمك يا رسول اللَّه ! فقال ﷺ : « **رأيت شابًا حدثًا وشابةً حدثةً ،**

فخشيت أن يدخل الشيطان بينهما » .

يا أولادي أستودع اللّه دينكم ، وأمانتكم ، وخواتم أعمالكم اللهم اشهد أني قد بلغت .

كلمة إلى مذيعات التليفزيون والفضائيات
(محجبات وغير محجبات)

حدثني صديق قريب أن إحدى المذيعات في إحدى الفضائيات كانت قد عزمت على ارتداء الحجاب منذ زمن إلا أنها كانت في تردد في اتخاذ هذا القرار وفي وقت اتخاذه ، وذكر أنها كانت في حيرة من أمرها ، وبعض أسباب ذلك يعود إلى الفتاوى المتعارضة التي سمعتها من فقيه وآخر أو داعية وغيره ، وأن البعض قد رخص لها أن لا ترتدي الحجاب إذا كان لبسه سيعرضها إلى الإضرار بعملها كمذيعة تليفزيونية ، وأن أمرها قد استقر في النهاية عند نصيحة أحد الدعاة ، فقررت لبس الحجاب والتوكل على اللّه والاستمرار في عملها ، كمذيعة فضائية محجبة ، وبالفعل تحجبت أختنا تلك ، وخرجت على الفضائية محجبة ... وأنا لا أشك أن الكثير من المشايخ والفقهاء

العصريين والدعاة المتموضين قد استقبلوا هذا الخبر بغاية السعادة ، وقمة النشوة والسرور ، ومن المؤكد أن الكثير قد أرسل لها « بتبريكاته » بمناسبة خروجها على الهواء مباشرة يشاهدها الملايين ، وقد توشحت حجابها الجديد بألوانه الزاهية الجميلة ، وبمكياج الوجه الذي ظهر جليًا أنه عوض كثيرًا من ما فات المشاهد من ما أتى عليه الحجاب تغطيةً وسترًا ... وأنا أقول لمذيعتنا الفاضلة (وأنا أعني كلمة « فاضلة » لا سخريةً واستهزاءً) إن كنت قد حرت بين مرخص في ترك الحجاب من أصله وبين ناصح بالحجاب أو آمر مع استمرار خروجك في تلك الفضائية مذيعة ، وبكلمة أدق وأوضح قالوا لك : لا بأس أن تكوني مذيعة تليفزيونية أو فضائية ، وأنت محجبة وبمثل سنك وبمثل هيئتك ..

أقول : إن كانت حيرتك وحيرة الكثيرات من زميلاتك - ربما - بين هذه الفتوى الأخيرة ، وتلك ، فاعلمي يا أختي ولتعلم سائر الأخوات من المذيعات الكريمات اللاتي يرغبن في أن يطعن اللّٰه ورسوله وأن يسمعن كلمة الحق خالصةً بدون غبش أو غش أو مجاملة

أو جهل علمي .. أقول : إنك وإنهن أحوج إلى غير هذا والله تعالى أعلم ، وإن فتوى أولئك في ناحية ونصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها وكلياتها في ناحية أخرى للأسف الشديد .

لقد اتفق أهل العلم على أنه لا يحل للمرأة أن تجعل نفسها محط أنظار الرجال في غير حاجة أو ضرورة شرعية ، وأن هذه الحاجات والضرورات قد عرَّفها وضبطها علماء الأصول والفقه ؛ فأما الضرورات فهي التي لا تقوم الحياة إلا بها ، وأما الحاجات فما كانت سبلًا ووسيلة لحفظ تلك الضروريات ، وإن عدمها يدخل مشقة لا تحتمل ، وحرجًا بالغًا فالضرورات هي النفس والمال والعقل والنسل والدين ، والحاجات ما كانت طريقًا لحفظ الضرورات مما يكون في تعطيلها لا إعدامًا للحياة ، وإنما إدخالًا كما قلنا للمشقة غير المحتملة والحرج البالغ ، ومن هذه الحاجات السكن واللباس والدابة (وسيلة المواصلات) وشبه ذلك مما قد يتجدد بتجدد الحاجات التي يصدق عليها التعريف السابق ومنها الثلاجة في هذا الزمان ، فقد أصبحت حاجة من الحاجات

تتم الحياة بدونها ، ولكن بمشقة وحرج بالغين ، ومن الحاجات المتعلقة بالمرأة التي يسمح بها أن تكون محطًا لأنظار الرجال (وقلتهم وكثرتهم تابعة للحاجة الشرعية) أن تكون شاهدة أو معلمة لفن يحتاجه الرجال والنساء أو يحتاجه الرجال ولا يحسنه غيرها من الرجال . وهذه القاعدة التي اتفق عليها العلماء مأخوذةٌ من نصوصٍ كثيرة من الشريعة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وقد ذكرنا هذا فيما مضى ، وأن الأصل هو بيتها فهو قرارها إلا أن تحتاج فتخرج لحاجتها أو حاجه غيرها ممن تعلقت حاجته بخروجها[1] . ولكنها تخرج متحجبة محتشمة .

٢ - صح أن النساء كنَّ يصلين مع رسول اللّه ﷺ فإذا سلم ﷺ قمن سريعًا وانصرفن إلى بيوتهن قبل أن يلتفت ﷺ وكان هو ﷺ يمكث قليلًا في مكانه قبل أن يلتفت ويمكث

(١) والمقصود هنا : « فروض الكفايات » يعني حاجات الأمة ؛ كالتطبيب للنساء والإرضاع وتوليد النساء وغير ذلك .

معه الرجال ، وذلك حتى لا يدرك النساء أحدٌ من الرجال .

٣ – صح أن النبي ﷺ قد جعل للنساء بابًا على حدةٍ يدخلن منه ويخرجن منه في مسجده ﷺ حتى لا يختلطن بالرجال ولا يتعرضن لأنظارهم .

٤ – قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ .

وأجمع العلماء على وجوب غض الأبصار في الجملة إلا فيما يحتاجه الجنسان من النظر .

٥ – صح أن فاطمة بنت المنذر قالت : كنا نخمِّر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر الصديق إذا مرَّ بنا الركبان . مع أن المرأة في الحج ممنوعة من لبس النقاب والبرقع الذي يلامس الوجه ، خاصةً مع إجماعهم على جواز ستر وجهها في الحج إذا احتاجت لستره عن أعين الرجال .

٦ – تواترت الأحاديث من حيث المعنى أن النساء كنَّ إذا حضرن مجالس الرجال ومحافلهم في الصلوات والأعياد أنهن كن يجلسن خلف الرجال لا وسطهم ولا إلى جانبهم . وذلك حتى لا يراهن الرجال ولا يكن محطًّا لأنظارهم ،

وصح عنه أنه ﷺ قال : « **خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها** » وعلة ذلك القرب والبعد ، فكلما ابتعدت المرأة عن الرجال وانظارهم كلما اقتربت من الخيرية ، وكلما اقتربت منهم كلما اقتربت من الشرية .

٧ - ثبت عنه أنه ﷺ قال : « **إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمس طيبًا** » . وثبت أنه ﷺ قال : « **وليخرجن تفلات** » يعني خلقات ليس عليهن من آثار العطر والزينة مما يثير غرائز الرجال ، ويجعلهن محطًّا لأنظارهم .

وثبت أنه ﷺ قال : « **إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا** » .. وفي روايةٍ : يعني زانية .

٨ - ثبت أن النبي ﷺ صرف بصر الفضل بن العباس عن النظر إلى وجه الخثعمية ، وكانت امرأة وضيئة جاءت تستفتي النبي ﷺ ..

فمن تلك النصوص وغيرها استنبط أهل العلم تلك القاعدة وذلك المقصد التشريعي ، وهو منسجم مع سائر قواعد الشريعة ومقاصدها ونصوصها في سد أبواب الفتنة وغلق

أبوابها ، فإذا وضح هذا فإن مذيعة التليفزيون أو الفضائيات هي مخالفة لتلك القواعد والنصوص والمقاصد وذلك بجعل نفسها محطًا لأنظار الرجال في غير حاجة شرعية ..

ولا يقولن قائل : إن الأمة ستتعطل مسيرتها الثقافية ، أو صعودها إلى القمر ، أو تصنيفها للدبابة والطائرة إن لم نسمح للنساء بأن يعملن مذيعات تليفزيونات أو فضائيات ..

لقد صار معروفًا لكل متابع عاقل نزيه ، أنه لا يختار للفضائيات ، وسائر محطات التلفاز لوظيفة المذيعة إلا الحسناوات أو على الأقل الوضيئات اللاتي يتميزن بحسن الصورة ، وجمال المنظر ، وأن السبب في ذلك معروف وواضح ؛ فقد أصبحت المذيعة الجميلة مسوقةً لا يستغنى عنها لأي قناة تنشد جذب المشاهدين وشد انتباههم .

ولقد رأينا تخاطف الفضائيات على التعاقد معهن ، والتنافس على توظيف الحسناوات منهن ؛ لأن ذلك في نهاية الأمر هو من أسباب الكسب أو الربح الذي تتطلع إليه أي قناة فضائية معروفة ؛ لأن دخلهم يعتمد في أساسه إما على الاشتراك أو الدعايات التجارية ، أو على الدعايات التجارية وحسب .

وهذا يحتاج إلى نوع من الإغراء والجذب ، وبين طرق ووسائل الإغراء والجذب لا شك المذيعة الحسناء .

فإذا وضح هذا الذي ذكرته . فلا يصح لامرأة مسلمة عفيفة طاهرة تنشد طاعة ربها ومحبة رسولها ﷺ أن تجعل نفسها سلعة في أيدي هؤلاء التجار الباحثين عن الربح ، ولو على حساب أخلاق الأمة وأعراضها .

فإن قالت إحداكن : فهل معنى كلامك أنه لا يجوز أن تعمل المرأة في التليفزيونات والفضائيات مطلقًا أم أن هناك بحبوحة وسعة ؟

والجواب : أما أن يعملن مذيعات إخباريات فلا يجوز لهن ذلك لما ذكرته ؛ لأن الأصل في المذيعة الإخبارية هو أن تختار بمواصفات جمالية معينة مع تسليط الكاميرا عليها مباشرة ، وبشكل واضح مما يجعلها محطًّا لأنظار الرجال وأما غير ذلك فهناك بحبوحة وسعة ، وذلك إذا قمن بإعداد أو تقديم برامج نسائية بمواضيع مشروعة هدفها التثقيف الحميد والوعي النبيل[١] ولكن بضوابط شرعية .

---

(١) وإنما قلنا بجواز هذا لحاجة النساء إلى التثقيف ، والتوعية وبطريقة سهلة سريعة الوصول بشرط أن لا تكون على حساب القواعد والضوابط الشرعية .

١ - أن يكون البرنامج قاصرًا على النساء .

٢ - أنه إذا حضر نساء البرنامج كونه مذاعًا على الهواء أو الفضاء أن يكن محتشمات متحجبات .

٣ - أن لا يضعن المساحيق والمكياجات .

٤ - ألا تسلط عليهن الكاميرات تسليطًا مباشرًا بحيث يرى تفاصيل الوجه ، وإنما تسليط بين بين لا هو بالقريب مما يثير أطماع وغرائز الرجال إذا شاهدوا البرنامج ، ولا هو بالبعيد بحيث يؤذي عيون المشاهد للبرنامج .

٥ - التحلي بالآداب والأخلاق الإسلامية أثناء البرنامج ، ويتخيلن أنفسهن أنهن جالسات في أحد البيوت ، ثم أخبرن أن هناك كاميرا قد علقت ولا يدرين أين هي فليتحفظن بما يحفظ عوراتهن وحياءهن .

٦ - ويستثنى من ضابط تسليط الكاميرا المرأة العجوز التي لا تشتهى ، وكذلك البنات الصغيرات اللاتي لا يشتهين ، وكذلك النساء الدميمات (القبيحات) ؛ لأن المعنى الذي نهى النساء من أجله عن جعل أنفسهن محطًا لأنظار الرجال قد ارتفع .

فهذا ما عَنَّ لي أن أكتب إليكن فيه ابتغاء النصيحة ، وثقة بأنكن جديرات باهتمام العلماء .. وأن نوازع الحشمة والطهر فيكن جديرة بالاحترام والتقدير .

أسأل اللَّه لي ولكنَّ الهداية والتوفيق والسداد وأن ينفعني وينفعكن بما قلت ، واللَّه حسبي عليه توكلت وإليه وأنيب .

أمم غالبة .. وأمم مغلوبة

« مِنْ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ إلى أمة من الببغاوات والقرود » .

وكيف لا تجترئ فرنسا وغيرها من أمم الغرب على المساس بحرمات ديننا . وهم يروننا أممًا مغلوبة قد حاكيناهم وقلدناهم في كل شيء أو نحوه . وكما قال ابن خلدون : « المغلوب مطبوع على حب تقليد الغالب » إننا نشرب بالفرنسية ، ونأكل بالإيطالية ، ونرطن (نعوج لساننا) بالإنجليزية . ونلبس بالأمريكية .. حتى وقد كدنا أن نتنفس الهواء بالأجنبية .. انظروا إلى مطاعمنا وأسماء محلاتنا التجارية ، انظروا حتى إلى كثير من أسماء بناتنا فهذه « ميرنا » وتلك « نيرمين » والأخرى « شيرين » وغيرها

« زفت الطين » إلى أخر أسماء العجمة والاغتراب ، لقد تمنيت أن أرى محلًا تجاريًا واحدًا في أمريكا يكتب على بوابته ، ولو حرفًا واحدًا بالعربية ، ولو من باب الزخرفة ... وأما الموسيقى والغناء فقد لحقا كذلك بموجة التقليد والتفرنج ، وذهبت منهما أصالة الشرق ونغمه (وبغض النظر عن حرام ذلك أو حلاله) . نعم قلدناهم في كل شيء ، في تسريحة الشعر وفي هرجلة القميص والبنطال . فالهرجلة والسوقية إذا جاءت من ديارهم فهي قمة الأناقة والشياكة .. وإذا غنوا ما لا يفهم غنينا ما لا يسمع ولا يفهم ، وإذا رقصوا وغنوا زرافات ووحدانًا فعلنا كما فعلوا .. فهذه مجموعة « الكلاب الأربعة » وتلك « الذئاب الخمسة » وإذا فجروا وفسقوا في غنائهم وجعلوا الجنس الخسيس أساسًا ومعتمدًا جرينا وراءهم ؛ كالكلب يتبع صاحبه .. فلم لا تجترئ فرنسا على الحجاب ؟؟!!

كنت أشاهد مباراة لكرة القدم .. وأنا رياضي طبعًا وفقهًا . وكانت مباراة عربية وبين فريقين من بلدين عربيين وهي مباريات مُمِلَّةٌ في غالب الأحيان ، وليس هذا في حد

ذاته مشكلة فقد اعتدنا على الإملال في عالم الرياضة العربية ، إلا أن الذي لفت نظري ، وجعلني أضرب كفًّا على كف أصوات الجماهير المشجعة لأحد الفريقين ، ولأنني أتابع الكرة اللاتينية فقد أصبت بشيء من الاستغراب والاستهجان معًا ... إنها نفس طريقة التشجيع المتبعة هناك ، ونفس كلماتها « أوليه .. أوليه .. أوليه » .

الجماهير العربية تهتف لفريقها تشجيعًا وتحميسًا ، وكأنها تهتف لفريق المكسيك أو الأكوادور .... فقلت : لا حول ولاقوة إلا بالله ... لقد حسبت لفترة من الزمان أن الأمم المغلوبة مطبوعة على حب الغالب فقط وتقليده ، إلا أنه لم يدر في خلدي يومًا أن هناك صنفًا من الأمم المهزومة تعدت هذا وتجاوزته لتقلد وتحاكي الأمم المغلوبة الأخرى !!! ولعلَّ في الأمر عذرًا ... لعل الآلام والمصائب المشتركة جمعت بين جماهير تلك الشعوب!!

الأمة المغلوبة غنية ... وفقيرة

قد يحسب البعض أن الأمة المغلوبة لا تكون إلا فقيرة ، وأنه لا يمكن للأغنياء أن يكونوا مغلوبين ؛ وهذا ليس

صحيحًا ؛ لأن الهزيمة في الأمة ليست نابعة من قلة ذات يدها ولكن من ضعف نفسها وروحها ، أرأيت إلى الرجل البدوي المُرَهَّلِ وقد امتلأت جيوبه دراهم ودنانير وقد وجد نفسه فجأة في أرضٍ ذات ضجيج وعجيج وفيها من كل الثمرات لا يدري لها مدخلًا ولا مخرجًا ، ولا أول لها من آخر ، قد كاد بريق ألوانها يذهب بالأبصار ، وهو من حيرته وانبهاره قد ذهبت عيناه في كل اتجاه تبحثان عن مرشد ودليل ، وبينما هو على حالته تلك إذا برجل ممشوق القوام فارع الطول جميل المحيَّا قد امتزجت فيه كل صفة وكل نحلةٍ من أرض الضجيج والعجيج يقول لصاحبنا الحيران « How can I help you » : كيف لي أن أساعدك ؟ لم يتردد صاحب المال الوفير في أن يلقي كل ما في حقيبته من حاجات النفس وغرائزها على الرجل البرَّاق وقد رأى فيه ماءً من بعد سراب ، وهواءً من بعد اختناق ... أتحسب أيها القارئ الحبيب أن صاحبنا البليد هذا بكل ما معه من أموال وثروة ، سيفلح ليأكل ما يشاء أو يشرب ما يريد أو أن ينام كما يشتهي ؟؟! إنه رجل غني مغلوب .

هذه دول المال والنفط لم تترك شيئًا في الغرب إلا نقلته إلى بلادها حتى مسابقات التنس الدولية النسائية ... نعم تصور معي لاعبة التنس تقف بين جمهور عربي أصيل كاسية عارية كما أَخْبَرَ النّبيُ ﷺ ، فإذا انتهى هذا الجمهور العاشق للرياضة الحرام والحلال من تشجيع تلك الرياضة المثيرة للجنس خرج هذا الجمهور نفسه يطالب فرنسا بأن تكف يدها عن حجاب المسلمة وسترها وعفافها .

إن أمة مغلوبة هذا حال التستر والتكشف فيها لا يحق لها أن تعترض ، ولا يحق لها أن تطالب غيرها بأن يحمي حمى الصيانة والحشمة ...

وإن أمة تستورد الفحش والعريَ هي أمة عاجزة عن تصدير العفاف والستر ، وإن أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ثم رضيت أن تكون أمة من الببغاوات والقرود هي أمة ليست لتقول ويسمع لها ، وإنما أمة يفرض عليها ويملى وما عليها إلا أن تسمع وتطيع .

أسوأ من « إمَّعة »

ظن أهل الشرق أن الخير في اللحاق بركب الحضارة

الغربية ، والإفادة من التقدم العلمي الهائل أو الثورة الصناعية الكبرى التي حولت المستحيل إلى الممكن ، قلنا نعم ... أرونا من قوتكم أيها الشرقيون بأسًا !!

نزعت أوروبا غطاء الرأس عن المرأة في أوائل هذا القرن المنصرم فنزعنا ، ولبست النساء عندهم المايوه فلبسنا ... ، أباحوا الخمور والقمار فأبحنا ... ، فصلوا الدين عن الدولة ، ففصلنا ... ، اخترعت أوروبا المذياع فـ .... ، وابتكروا الهاتف فـ ... ، واخترعوا التلفاز فـ .... ، تقدموا في علوم الفيزياء والكمياء والطب فـ .... . صنعت أوروبا الطائرة وصعدت الفضاء فـ ... [1] .

هل كان النبي ﷺ محتاجًا عندما قال : « **لا تكونوا إمَّعةً ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطِّنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أحسنتم ، وإن أساؤوا فلا تظلموا** » .

---

(١) لا أدري ما أضع أمام هذه الفاءات ؛ فإن كلمات المعجم تزاحمت عندي لكن لا أظن أن واحدة منها تصلح للنشر ، ولو أنني اختصرت جميعها . وسمحت للعامية أن تتحدث بالنيابة عن الفصحى لقلت أوروبا فعلت وفعلت فـ « اتنيلنا » .

أقول : هل كان محتاجًا صلوات اللَّه وسلامه عليه عندما قال هذا الكلام ، أن يقول لنا ، وإياكم أن تكونوا ، أسوأ من إمَّعة ؛ ولو كان واحد منا بليدًا في ذاك العصر لربما سأل النبي ﷺ ، وكيف نكون أسوأ من إمَّعة ؟؟ ، ولو كنت أنا هناك لنهرت السائل وجبذته من ثوبه ، وقلت له : ألا تعقل يا أعرابي .. ألست فصيح اللسان عربي البيان ؟ أليس هذا عندكم ، وأنتم العرب الأقحاح والبدو الفصحاء من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ؟ ألم يقل اللَّه تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ .

ولو قال قائل : فما بال الضرب للأبوين ، أيحرم كذلك ؟ لكان من هذا السائل تدرك في الفهم وتدنٍّ في البيان ، وهكذا معنى ما قاله النبي ﷺ في نهي الأمة أن تستخف نفسها من بعد إعظام ، أو أن تهين ذاتها من بعد إكرام . فهل يعقل أن أمة الشرق قد بالغت في هذا الاستخفاف وتلك الإهانة حتى وطنت نفسها إن أساء الغرب فاقتهم إساءةً ، وإذا أحسنوا وقفت فيها حركة الحياة ، وتعطلت عندها لغة العمل ، فلا يقدر على شيء

حتى ترى صورة من صور السوء والقبح ؛ لتدب بها الحركة من جديد ، وتنبعث فيها روح قوة التقليد والإبداع في المحاكاة . فإذا كان الأمر على النحو الذي وصفت ، فيا ليت شعري ماذا نقول للنبي ﷺ ، ولو أنه ﷺ حسب أن سيكون في أمته بلداء لا بليد واحد ؛ كصاحبنا الأعرابي ، قد صاروا من الكثرة والسلطان ما يحسب المرء أنهم لسان حال الأمة ، ورمز حقائقها ؛ إذًا لكان لحديثه ﷺ شأن آخر ، واللَّه أعلم وأعز وأحكم . لكنَّ وعد اللَّه تعالى لابد منجز ، وهذا الدين لابد ظاهر ولو كره الكافرون .





الفصل الثالث

قبل أن تأتي أوروبا على بقية فرائض الإسلام

ما العمل ؟





قبل أن تتبع فرنسا كل أوروبا وقبل أن يأتي الغرب على بقية فرائض الإسلام (ما العمل ؟)

كل هذا الذي ذكرناه فيما مضى تحليل وانطباعات لا تمثل في أقصى مراتبها إلا ردود فعل لما حدث ، وقد ظل المسلمون للأسف – ومن زمن غير قليل – ليسوا إلا ردود فعل لما يقوم به الغير ، بينما كانوا في أيام عزهم في جملة حياتهم فعلًا جميلًا وعملًا حميدًا ، وكانوا يتأثرون بالحسن فيزيدوه حسنًا ، وبالخير فيزيدوه خيرًا ، وإذا رأوا القبيح كانوا أبعد الناس عنه .

وأما الشر فكانت أبوابهم دونه موصدة ، ونوافذهم تجاهه مغلقة ، أخذوا عن الحضارات وأثروها ، وقدموا للناس حضارة جديدة لا تعرف عرقيةً ولا عصبيةً .

وإنما جعلوا عنوان دينهم ورسالة نبيهم ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

وكانوا أول من عرف حقوق الإنسان وحرياته بالمعنى الشامل المتكامل ؛ في الحرب وفي السلم .

وأول من جعل للمخالفين في الدين رحمة وذمةً لا

يُخْفَرُونَ في مال ولا دم ولا عرض ..

وحتى لا نبقى نندب حظنا القديم وماضينا التليد ، لابد اليوم من عملٍ جديد ، وموقف عتيد قبل أن تأتي فرنسا ومن ورائها أوروبا بأسرها على ما تبقى من شعائر الإسلام وفرائضه . فما العمل ؟؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

« الله يطالبنا بالتغيير .. والغرب يأمر الشرق بالتغيير !! »

أليس من العيب على أمة الشرق وقد أكرمها الله تعالى بهذا الدين وبكتابه وهدي نبيه ﷺ ، بما صار منهاجًا تفتخر به البشرية من أمر سعادتها في دنيا وأخرى .

أقول : أليس من العيب أن تلتفت هذه الأمة إلى مناهج غيرها التي أتت عليها حظوظ الشهوة والهوى وقصور النفس الإنسانية ، وعندها دستور السماء يأمرها بالخير وينهاها عن الشر ، وفيه من نواميس الكون وثوابت الحياة ما يكفل لها تجددًا دائمًا وحضورًا راقيا ؟! ... أليس من العيب أن تصم أمة الشرق آذانها عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ؛ لتصغى إلى دساتير الأرض وقوانين المادة المقطوعة عن السماء ؟؟ .

أليس من العيب أن يطالبنا ربنا ﷻ بالتغيير لما فيه خيرنا وسعادتنا فنُعرِض ؟! .

ويطالبنا الغرب بالتغيير لمصلحته ونفعه فنقبل ؟؟!!

أليس من العيب أن يكون في كتاب ربنا أن التغيير من القبيح إلى الحسن ، ومن الخمول إلى النشاط ، ومن الهوان ، و الضعف إلى القوة والاعتزاز ، ومن المعصية إلى الطاعة ؟ . إن ذلك أساس صلاح الأمم وبقاء عزها وسلطانها ، وإن ذلك سنة ثابتة وقانون دائم .

أليس من العيب على أمة الشرق أن تكرم بهذه الحقائق قبل أن يولد متحضر أو يباض مدني ، ثم تنام على هذا كله ، تنتظر صيحة رعناء ، أو خطبة حمقاء من أمم لا تعرف هي نفسها ، ولا إلى أين مصيرها ؟؟!!

يا أمة الشرق إن رياح التغيير قادمة ، وهي رياح عاتية سموم لن ترحم صديقًا قديمًا ولا عهدًا جديدًا ..

يا أمة الشرق غيري عتبة بابك قبل أن تهلكي بشؤم من صاحبت وخاللت .

يا أمة الشرق والعرب تحولي من مضارب بني تيهان

وضيعان وسفهان إلى مباني بني عرفان ووجدان وعقلان ... قبل أن تأتي ريح عاصفة تقتلع النفوس قبل العقول ، والعشيرة والولد قبل الخيمة والوتد .

إن التغيير الذي ننشده هو تغيير يحول النفس الضعيفة العاجزة إلى نفس قوية قادرة ، تغيير يبدل الأرواح النائمة الهابطة إلى أرواح يقظة وثابة ، تغيير يأتي على الشعور بالتبعية والعبودية إلى شعور بالسيادة والاستقلالية .

تغيير يعيد الأمة إلى عزة هويتها وكرامة شخصيتها بعد أن تاهت وذلت كثيرًا في هويات ، وشخصيات الغير .

تغيير يجعل الطاعة والمعروف أمرًا ظاهرًا وسمة بارزة ، ويجعل المعصية والمنكر أمرًا عرضًا وأمرًا طارئًا ، تغيير يخمد نار السفور والتبرج والتعري ويوقد سراج الحشمة والعفاف والحجاب .

الجاليات المسلمة في الغرب ومسؤوليتها في استصدار قانون حظر الحجاب

تعرضت إحدى النساء الأمريكيات المسلمات في سوق تجاري في إحدى المدن الأمريكية إلى الإهانة بسبب

حجابها ، فقامت بدورها برفع قضية على هيئة الشرطة المسؤولة عن هذا السوق ، ثم طويت القضية ، فخطبتُ إثر هذا الحادث خطبة في أحد المساجد هناك ، وكان من بين ما قلته : إن المسلمين قد جاءوا لهذه البلاد منذ زمن ليس بالقصير ، فقد جاءت أفواجهم الأولى في بدايات القرن المنصرم ، ووصل عددهم اليوم (في الولايات المتحدة) إلى أكثر من ستة ملايين مسلم ، ومع ذلك ، فإنهم وإلى تاريخ يومنا هذا لم يصلوا إلى درجة من التمكين تحفظ لهم كيانهم وتحترم حقوق شعائرهم ودينهم ، فإنهم إلى الآن لم يستطيعوا أن يفرضوا يوم الجمعة ليكون وقت الصلاة فيه على الأقل عطلة مشروعة أو إجازة رسمية . ولا يزال إلى الآن الحجاب أمرًا غير مستساغ من الغالبية العظمى للأمريكيين ، ولهذا أسبابه وعوامله من أكبرها وأخطرها عاملان اثنان أو سببان رئيسان ..

الأول : أننا هاجرنا إلى هذه البلاد بعاداتنا وتقاليدنا وحسب ولم نهاجر بديننا وإسلامنا .

الثاني : السمعة السيئة ؛ فقد نقلنا معنا إلى الغرب أسوأ

ما فينا من الأخلاق الذميمة والخصال القبيحة ، وكأننا أبينا إلا أن نأخذ من تلك البلاد (بلاد الغرب) خيرها . وأن نعطي مقابل ذلك شرنا .

ولو أن المسلمين هاجروا بدينهم ، وأخلاقيات إسلامهم ونقلوا معهم أفضل ما في هذه الأمة ، وبادلوا أهل تلك البلاد خيرًا بخير ، كما فعل المهاجرون في المدينة المنورة ، وكما فعل تجار المسلمين الذين نزلوا جزر الملايو وأندونيسيا . والفرق في الزمن التاريخي بين هاتين التجربتين قرابة الاثني عشر قرن . مما يدل على أن هناك ثوابث في التغيير أو التأثير الذي يستطيع المهاجر أن يحدثه في موطنه الجديد ...

عندما هاجر الصحابة إلى المدينة لم يكن أغلب سكانها مسلمون ، وعندما نقل تجار المسلمين الحضارة بين حضرموت وماليزيا وأندونيسيا لم يكن أهل تلك البلاد على معرفة كثيرة بهذا الدين ، وكانوا على ديانات ومعتقدات مختلفة ، حتى غدت المدينة المنورة معقل الإسلام والمسلمين ، وغدت أندونيسيا الآن أكبر بلد من حيث تعداد المسلمين فيها ، ولم يكن ليحدث هذا لو أن الصحابة

الأوائل هاجروا إلى المدينة بعادات قريش ، وطبائع مكة وحسب ، وقل الأمر نفسه في تجار حضرموت ، لقد كان الواحد منهم يذهب لتلك البلاد بعمامته وثوبه المنتمى لدينه وحضارته ، وينقل معه الأخلاق والآداب ، وكان من أهم تلك الأخلاق التي تأثر بها أهل تلك الجزر ، الأمانة والصدق والاعتزاز بالشخصية الدينية والهوية الإسلامية ..

ولئن سألت أمريكيًا الآن عن انطباعه الأول عن المسلمين هناك في الجملة لقال : كذب ، عدم الوفاء بالوعد ، التحايل والخيانة والغش .. وأما الهوية الإسلامية ، والشخصية الدينية فلا يعرفها ولا يحس بها ، فهذا محمدٌ صار « مايك » وهذا محيي الدين صار « يودين » وهذه ليلى صارت « للي » .. ونسيت أن أقول وهذا فايد صار « دودي » .. وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل .

وأما ما يتعلق باللباس وهو هنا بيت القصيد ، فحدث ولا حرج ، الثوب والقلنسوة أمران يحرص المسلمون على عدم ارتدائهما إلا في المناسبات الدينية ، وأما الحجاب فمن بين ستة ملايين مسلم لا أظن أن نسبة الحجاب تزيد على

عشرة في المئة في مجموع النساء المسلمات ، وإذا أرادت بعض النساء المسلمات المحافظة على لباسها الشرقي فشيء مخجل، هذه هندية كشفت بطنها ، وهذه باكستانية كشفت معظم رأسها وعنقها وذراعيها ، تمامًا كما هو الحال في الهند وباكستان وأما المسلمات العربيات فاختصرنا الطريق فإما حجاب وإما لا ... ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولو أن المسلمين في بلاد الغرب جاؤوا بإسلامهم ودينهم ، أو بدأوا الآن على الأقل بتغليب الإسلام والدين على العادة والتقليد لصار لهم شأن ، أو لاحترم دينهم وشعائره وحجاب نسائهم الخاصة في المشرعين قبل العامة . ولفرضوا على الحكومات الغربية ومجالس البرلمان فيها أمرًا واقعًا قويًّا لا يقبل المساس أو المصادمة . بل لا يجد له حلًّا إلا سن الشرائع والقوانين التي تتناسب مع حضوره واحترام وجوده .

الأجهزة الرسمية الدينية ، وغيرها لها دورها
« أوروبا لا تحتاج من يعلمها حقوقها »

لا حق بدون قوةٍ ، ولا قيمة لقوة إذا قامت على باطل ، إن أوروبا لا تحتاج من يعلمها حقوقها ، ولا من يعلمها

كيف تمارس باطلها ، فهي أعرف بذلك من صغيرنا وكبيرنا ، من عالمنا وجاهلنا .. لكن أوروبا بحاجة إلى من يعلمها كيف تحترم حقوق غيرها ، وكيف تكف عن ممارسة باطلها .. إن القوة قبل أن تقوم في الحديد والمدافع ، تقوم في النفس الصانعة للحديد والمدافع ، وإن المدافع والحديد لا تخلق حقًّا ، لكن الحق يخلق حديدًا ومدافع ، قد لا يراها أهل الحق أنفسهم ، لكن يراها أهل الباطل ... وإن كلمة حق في نفس قوية لهي أهيب في قلوب أهل الباطل من قانون معظم وجيش عرمرم .. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ ﴾ ..

إن المسلمين في بلاد الغرب وأنا واحد منهم بحاجة إلى وقفة حقٍّ صارمة من أصحاب الولايات والمناصب والمسؤوليات في بلاد الشرق ، الشيوخ والعلماء والمفتون وقبل ذلك الملوك والرؤساء والأمراء . وقد قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » .

إنني أعتقد أن ملوك ورؤساء المسلمين وأمراءهم لهم من المكانة والحظوة - إن شاء الله تعالى - ما يمكنهم أن يقوموا بدور بالغ التأثير في المشرعين والقانونيين في بلاد الغرب ...

وإنني أعتقد في الوقت نفسه أن شيوخ الأزهر وعلماءه ومفتو البلاد الإسلامية ، ورؤساء المجامع العلمية والدينية عليهم مسؤولية كبرى في قول كلمة الإسلام في مسألة الحجاب وفي غيرها ، إن الجاليات المسلمة في بلاد الغرب كانت على أحر من الجمر لتسمع ولو كلمة واحدة أو فتوى جريئة تشد من عضدهم وتقوي من ساعدهم في مواجهة ما قد تحمله الأيام القادمة من قص أو بتر بشعائر دينهم وفرائض إسلامهم . وإني على ثقة في علماء الإسلام كلهم وعلى رأسهم شيخ الأزهر الشريف ، وأن الخير فيهم موصول والأمل بهم معقود ، وأنهم لازالوا أهلًا لكل مكرمة وموطنًا لكل عزة ، وموئلًا لكل سائل ملهوف . أسأل اللَّه أن يجري على أيدي حكام المسلمين ، وعلمائهم الخير والهداية وأن يجعلهم سببًا لعز الإسلام والمسلمين .

المشايخ والدعاة واحترام الحجاب

إنني أعتقد وبمنطق الفقه الإسلامي الذي عايشته أكثر من ربع قرن دراسة وتدريسًا وتأليفًا أنه لا يجوز لشيخ أو فقيه أو دكتور ديني أو داعية إسلامي أن يجلس في برامج

الدين أمام مذيعة غير محجبة تستضيفه أو تحاوره ، إن هؤلاء مسؤولون أمام الله تعالى في فرض هيبة الحجاب الإسلامي على الأقل في دائرة تخصصاتهم وسلطانهم . ولا يصح أن يقول قائل منهم : إنها فرصة العمر لنقل الكلمة الطيبة عبر القنوات التليفزيونية والفضائيات .

نعم لا يقولن قائل هذا الكلام السخيف الجاهل ؛ لأن الله تعالى ميزنا نحن المسلمين عامة والعلماء خاصةً بأن طيب ﷻ غاياتنا ووسائلنا ، وجعلنا ﷺ متعبدين بالغاية والوسيلة معًا ، فلم يرض منا ﷻ أن نبتغي للغاية الحسنة الوسيلة السيئة . ولا أن نسلك للأهداف النبيلة وسائل الرذيلة قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ .

وقال ﷺ : « **إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا** » وقال

ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » يعني إنما الأعمال المعتبرة شرعًا بالنيات الصالحة [١] .

وذكر النبي ﷺ : « **الرجل أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وغذي بالحرام ؛ فأنى يستجاب له** » .

وسئل النبي ﷺ كما جاء في الصحيح عن أيتام ورثوا خمرًا أنخللها ؟ (يعني نحفظ مال الأيتام بتخليل الخمر وهو مقصدٌ شريف وغاية نبيلة) ؛ فنهاهم عن ذلك ﷺ وأمرهم بإهراقها .

إنه موقف مهين ومجلس وضيع أن ترى الشيخ أو الداعية يجلس أمام الكاميرات ، وتحت الأضواء تحاوره في الدين امرأة قد خالفت هذا الدين نفسه الذي تستضيفه فيه . وهو لا يبدي انكارًا ، ولا حرجًا لقد أمات هؤلاء وأمثالهم علينا ديننا ، وطمعوا فينا الساقط والمنحل ، وجرأوا علينا القريب والبعيد .

وأما نيات هؤلاء ، ومقاصدهم فليس شأني ولا شغلي ،

---

(١) اقرأ كتابنا : « شرح حديث إنما الأعمال بالنيات » . ففيه مباحث وفوائد لا يستغنى عنها .

وإنما أنا رجل فقيه . أدرس الحالة المعروضة ، والصورة الظاهرة ثم استخرج لهما حكمها الفقهي بدون مجاملة أو تذويق أو ترقيع . وأنا أسأله ﷻ السلامة والعفو والعافية وحسن الختام لي ولكل من قرأ هذا أو نظر فيه .

المساجلات والمناظرات الدينية في أصول الشريعة وفرائضها حرام .. حرام .. حرام

نعم ، هذا ما أعتقده ، والكل عندي مشترك في هذا الإثم الشيخ والمذيعة ، أو المذيع والمحاورة ، وكل من ساهم في إعداد تلك اللقاءات المهينة أو حضَّر لها .

فإن قال قائل : إذًا ما العمل ، وكيف السبيل وهناك أطياف في المجتمع وشرائح لا تعرف حكم الحجاب أو في نفسها شك أو في فرضيته حتى في بعض أحكام الإسلام الأخرى ؟ .

والجواب : إن الناس المهتمين بقضايا الدين في جملتهم صنفان لا ثالث لهما ، يستوي في ذلك المؤمن والكافر ، والعربي والعجمي ، صنف باحث عن الهداية صادق في الاسترشاد وطلب البيان ، وصنف جاحد ، لَيِّن مجادل

مكابر ، إنما همه أن يثبت أنه شيء ، أو أن ما يحمله يستحق الحوار والمناظرة .

وهذا التصنيف صادق سواء كانت القضية الدينية كفرًا وإيمانًا ، أو توحيدًا وشركًا ، أو فرضًا من فرائض الدين جهلًا بهذه الفريضة أو إنكارًا لها .. فأما الصنف الأول فهو الذي يجب أن تتوجه له عناية العلماء والدعاة والمفكرين وأصحاب الأقلام الطيبة ، ولهؤلاء يجب أن تفتح القلوب وتتسع لهم الصدور ، وتخصص لهم المحاضرات والدروس واللقاءات ؛ لأنهم طلاب هداية قد جعلنا اللَّه تعالى سبلًا ، ووسائل لتبليغ الحق والخير إليهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ وهؤلاء الذين أمرنا اللَّه تعالى أن نجعل دعوتنا فيهم وجهدنا عندهم ، وهم في الحقيقة أمانة في الأعناق سواء كانوا غير مسلمين أصلًا باحثين عن الهداية ، أو كانوا مسلمين تائهين في طرق الغواية يتلمسون في الظلام الحالك من ينور لهم الطريق ، ويزيل عنهم الغشاوة .

وهؤلاء الذين عناهم ربنا بقوله ﷻ : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾

وهؤلاء الذين ذكرهم ربنا في قوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ وهذا الصنف من المجادلة التي عناها ربنا بقوله : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ مجادلة ليس فيها تحقير ولا استثارة ، إنما فيها خطاب الداعية الصادق في تبليغ رسالة رب العالمين إلى طلابها والباحثين عنها ، ولو أن هذا المجادل جلس لا بحثًا عن شيء مفقود ، ولا طلبًا لحقيقة ضائعة ، وإنما مراءً واستكبارًا ، وتحقيرًا ؛ لكان من الحرام البين والعبث المتيقن الجلوس معه ولو للحظةٍ واحدة (١) .

وقل الأمر نفسه في مسائل الحجاب ، وتعدد الزوجات والوصية والميراث وغير ذلك من فرائض الإسلام وأصول تشريعاته .

إنها موجات التغريب والفرنجة جاءت قوية عاصفة لم تترك

---

(١) كان لنا رأي في تلك المناظرات التي انتشرت فترة من الزمان بين دعاةٍ مسلمين وبين قساوسة نصارى في أنحاء مختلفة من العالم ، كان رأينا حينذاك أنها مخالفة لنهج الإسلام وضوابطه ؛ لأن المجادلة المشروعة هي التي يبحث فيها عن الحق وتطلب فيها الهداية والتي فيها النية الصالحة المسبقة للإذعان لصوت الحقيقة وسلطان الدليل والبرهان ... وأما المناظرات التي تقوم على مبدأ الإمتاع =

شيئًا إلا ألبسته لباسها وصبغته بألوانها .. نعم في الغرب كل شيء « ls able to be diseussed » قابل للمناقشة ، وجود اللّه ووحدانيته ، وأصل الإنسان وتكوينه ، فطرته وغرائزه وإنسانيته وبشريته ، الدين والشرائع . والأخلاق والمبادئ ..

إنهم يعقدون المناظرات بين أم وابن عشيقين !! الأم تعشق ابنها والولد يعشق أمه ويعاشرها معاشرة الأزواج .. وفي الطرف الآخر الاتجاه المعاكس . وتنهى الحلقات ليقول الناس بعدها « Will may be Wrong and may be right » قد يكون صوابًا ، وقد يكون خطأً .. وهكذا إلى هذه الدركات السفلى نزلت ثوابت الإنسانية والبشرية عندهم .

= الثقافي والترف الفكري فيقدم كل من المتناظرين ما عنده دون إنهاءٍ للقضية المتناظر فيها أو الوصول إلى نتائج وقرارات بشأنها ثم تنفض المناظرات فيقال هذا أفحم ذاك ، أو هذا كان أقوى عارضةً من الآخر ، أو هذا استطاع أن يكسب تصفيق الجماهير أكثر من غيره ، ثم يتعانق الداعية والقس ويبقى هذا داعيةً وذاك قسًا ، وتمشي عجلة الحياة بينهما ، هذا على حقه الذي يراه الآخر باطلًا ، وذاك على باطله الذي يظنه هو عين الحق ، لكن القاسم المشترك الأعظم لهذه المناظرات من حيث فلسفتها أنها قضايا تقبل الخطأ والصواب لا تستحق أكثر من أن تكون في مناظرة . وهذا في حد ذاته تمييع وتحقير لحقائق ومعارف عظمها رب العزة ﷻ . وقام عليها الوجود كله .

وهو من فعل شذاذ الآفاق وناشري الفساد عندهم ممن يعرفهم الداني والقاصي ...

فهل تريد أمة الشرق أن تسخط ربها عليها ، بأن تجعل أمره ﷻ ونهيه « خطأ وصواب ، وحق وباطل » ، أيقول ربنا ﷻ : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ؟!!

أيقول ربنا : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ ؟ .

أيقول ربنا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ وتجمع الأمة منذ عهد نبيها ﷺ بفقهائها ومفسريها ومحدثيها وسائر خاصتها وعامتها على فرضية الحجاب ، وحتمية لبسه على المرأة البالغة ، وأنه ستر البدن كله ما عدا الوجه والكفين .. وتمضي الأمة منذ العهد الأول وإلى أوائل القرن المنصرم لا

أقول متحجبة نساؤها ، وإنما متنقبةٌ [١] ثم تأتي شرذمة من التافهات السفيهات تجادل في أمر الحجاب ..

لكن واللَّه الذي لا إله إلا هو ليس أتفه ولا أسفه منها إلا الذي رضي أن يسمع لها أو أن يقول لها ...

اتقوا اللَّه يا علماء المسلمين ، ودكاترة الدين ، ويا دعاة التليفزيون والفضائيات ، فإننا في الغرب نرقبكم وأيدينا على القلوب ، والساسة والمشرعون ينظرون إليكم ، وأصابعهم على الزناد ... فلا يُؤْتَى هذا الدين من قبلكم ، ولا يخترق حصنه من ناحيتكم .. أسأل اللَّه تعالى أن يجعلكم للإسلام حصنًا حصينًا ولهذا الدين ركنًا مكينًا ، وأن يهدي بنا وبكم بما ولما يحب ربنا ويرضاه آمين .

كلمة إلى المسؤولين عن وسائل الإعلام المرئية والفضائيات خاصة (ART MBC ORBIT) ودورهم في رفع راية الطهر والعفاف

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ .

(١) ارجع إلى كتابنا : « النقاب ودعاة الاختلاط » .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ .

وقال ﷺ : « **ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ، ووزر**

---

(١) يعني أمرنا مترفيها : (بالطاعة والإصلاح ، فأعرضوا وعصوا وأفسدوا) هذا معنى ﴿ فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ ، وهذا من بليغ الكلم القرآني ففيه حذف واختصار . وهذا معروف في كلام العرب تقول : كل هذا وإلا بِتَّ جوعانًا ، والمعنى : كل هذا الطعام وإلا فإنك إن لم تأكله بتَّ جوعانًا .

من عمل بها إلى يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « **وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً تهوى به في جهنم سبعين خريفًا** » .

وقال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** »

إنني واللّه كلما قرأت تلك الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة كلما قلت يا ربي لك الحمد أنك لم تجعلني رجلًا ثريًا ولا صاحب محطة تليفزيونية أو فضائية أو حتى مسؤول غافل القلب عن تلك المحطات .. يارب أسألك العفو والعافية لي ولكل مسلم ومسلمة .

إن هؤلاء المساكين والفقراء الذين ابتلاهم اللّه تعالى بأن جعلهم أثرياء أقوياء في دنيا الإعلام لا يعبر عن فداحة ما هم فيه من مصيبة وهَمٍّ وغَمٍّ إلا تصور الموقف غدًا يوم القيامة بين يدي العزيز الحميد وهو يسائلهم : [١] .. يا هذا تعال ، ألم أعطك ؟! ألم أمنحك ؟! .. ألم ..

---

(١) هذا التصور يدخل ضمن الأساليب الأدبية . ومعاني ما ذكرت كلها ثابتة في الكتاب والسنة . وهي كما قلنا أسلوب أدبي يقرب الصورة والمعنى وليس الحرف والمبنى .

ألم .. والعبد يقول : نعم يارب ، نعم يارب ...

يا هذا ، ماذا فعلت في مالك ؟ .. يارب أنشأت صرحًا إعلاميًا أدعو فيه إليك ومن أجل رضائك .

يا هذا ، ألم يكن في هذا الصرح الإعلامي الذي زعمت رقص ومجون ، وتبرج وفتون ؟ .

بـ بـ بـ بلى يارب كان فيه .

يا هذا ، ألم يكن في صرحك الإبليسي قُبل ومعانقات وكشف أفخاذ وعورات ؟ .

بـ بـ بـ بلى يارب كـ كـ كان وو

يا هذا ، أهذا الذي ذكرت فحش وفجور أم طهر وعفاف ؟ .

بل ... فحش .. وفجور..؟

يا هذا ، أقرأت في كتابي الذي أنزلت : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ...

نعم قرأت ...

يا هذا ، هل بلغك عن نبيك أنه أخبرك بوحي منِّي : (إن اللَّه يبغض الفحش والتفحش) .

نعم .. قرأت ..

يا هذا ، هل قرأت في كتابي الذي أنزلت أو على لسان رسولي الذي أرسلت أن هذا الذي أقررت به يجلب رضواني والجنة ، أم سخطي والنار ؟ ... بل سخطك والنار يارب ...

يا هذا ، أكنت تشاهد هذا الذي أقررت به وحدك أم كان يشاهده ويراه معك غيرك ؟ .

بـ بـ بـ بل كان يشاهد م م معي من لا أعلم لهم عدًّا ولا إحصاءً ...

يا هذا ، أقرأت في كتابي الذي أنزلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ؟ .

نعم ... يارب قرأت ..

يا هذا ، هل بلغك عن نبيك أنه أخبرك بوحي مني : « **كل أمتي معافى إلا المجاهرين** » ؟ .

هاه ... لا لا ... أدري .. نعم .. لا ... نعم

يا هذا ، هل بلغك عن نبيك أنه أخبرك بوحي مني **« ومن سن في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ؟ »** .

نعم ... نعم ...

يا هذا ، هل بلغك عن نبيك أنه أخبرك بوحي مني : **« ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .. »**

نعم ..

يا هذا ، ألم تعلم أنك راجع إليّ وواقف بين يديَّ ؟

يا هذا ، ما الذي أملك بي وطَمَّعَكَ فيَّ ؟

يا هذا ، أأمنت مكري أم أمنت عذابي ؟

يا هذا ، ألم تقرأ قولي : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ .

يا ملائكتي ...

وينتهي المشهد هنا كي لا نتألى على اللَّه . فلو شاء أن يدخل من شاء في جنته ، ومن شاء في ناره لفعل ، لكنه ﷻ

عدل حكم ، فيا طوبى لمن عمل لطاعته وجنته ورضاه ، ويا خسران من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على اللَّه الأماني .

يا أصحاب الفضائيات ، لقد فات الكثير ولم يبق إلا القليل ...

يا أصحاب الفضائيات ، اليوم شهرة ومال .. وغدًا فضيحة وأهوال .. يا أصحاب الفضائيات ، كل يسأل عن ذنبه .. وأنتم تسألون عن ذنوبكم وذنوب غيركم .

يا أصحاب الفضائيات ، ليال الدنيا أنس وبراح وأضواء .. وليال القبر وحشة وضيق وظلمات ...

يا أصحاب الفضائيات ، لا تركنوا إلى أجوبة النفس الزائغة أو فتاوى الشيوح الزائفة ....

يا أصحاب الفضائيات ، واللَّه إني لأرأف لحالكم ، وأشفق لمآلكم .. فلا تقولوا غدًا وبعد غد .. ولكن العجل العجل يرحمكم اللَّه .. عافاكم اللَّه .. واللَّه إن كبيركم عندي أبٌ .. وصنوي فيكم أخ .. فتقبلوا من ولدكم .. واسمعوا لأخيكم هداني اللَّه وإياكم وتاب عليَّ وعليكم وأحسن اللَّه ختامي وختامكم . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن

كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

هذا الذي ذكرناه موعظة عسى اللَّه أن ينفع بها ولكن لا غناء عن القول بأن المسألة جد خطيرة ، وأن فرنسا لم تكن لتجترئ على قانون حظر الحجاب لو لم يكن في شرقنا على وجه الخصوص ما يجرؤها على هذا ، ولا شك أن دور الفضائيات العربية الإسلامية في المسألة لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه ، ولو أن هذه الفضائيات التي وصلت إلى كل ركن من أركان المعمورة كانت متزينة بثوب الستر والعفة ، وتعظيم شرائع اللَّه وفرائضه ، لكان الأمر شيئًا آخرًا لا شك في ذلك ، ولا ريب .

وأنا لا أقول إن الفضائيات هي وحدها التي ستحمي الحجاب أو تجرئ على حظره . لكنها عامل فعال مع سائر الأسباب الفاعلة التي ذكرناها ، وأنا أدعو في هذا المقام ، ومن خلال هذه العجالة كل المسؤولين عن الإعلام وشيوخ الفضائيات إلى أن يراعوا الحرمات ويرقبوا ربهم ﷻ فيما يعرضونه على الناس ، وهي في النهاية أعني المسؤولية التي ألقيت على أعتاقهم ، إما باب رحمة لحسنات جاريات ، وإما

هوة نقمة لسيئات كثيرات ، أسأل اللَّه تعالى أولًا أن لا يبتلينا بمنصب أو مسؤولية أو مال لا نطِيق شكره أو لا نقدر على استعماله فيما يرضيه تعالى ، وأسأله ﷻ بعد هذا أن يهدينا جميعًا لما فيه خير الإسلام والمسلمين . وأن لا يجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . اللهم آمين .

الحجاب ... والنقاب
« وقـاسـم أمـين »

عندما كتبت كتابي : « النقاب ودعاة الاختلاط » لم يكن يخطر في بالي أنه سيأتي اليوم الذي يتجرأ فيه أحدٌ على المساس بحرمة أصل الحجاب ، شرقيًّا كان هذا الأحد أم غربيًّا ... نعم ... لقد كتبت عن النقاب الذي كان سائدًا إلى منتصف القرن الماضي في معظم أنحاء المشرق الإسلامي ، وذكرت وقتها أن هذا « البرقع » أو « النقاب » أو « غطاء الوجه » بأي شيء كان أنه كان هدفًا قاتلًا لأعداء الإسلام ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بأمر الشرف والأخلاق والأعراض ، وإن شئت قلت بخصوصيات : « الكيان الاجتماعي الإسلامي » ... تحدثت هناك من منطلق فقهي بحتٍ ، عن حكم النقاب في الإسلام . باستعراض أقوال الفقهاء والمفسرين في سورتي النور والأحزاب ، واستندت بالحجة والبرهان أن النقاب أو غطاء الوجه كان هو المشروع والسائد في المجتمع الإسلامي

ابتداء بعصر النبي ﷺ ، وبالتحديد بعد استقرار أحكام الحجاب الإسلامي في السنة الخامسة للهجرة وامتدادًا إلى سائر عصور التابعين ومن بعدهم إلى منتصف القرن الماضي.. لقد ذكرت هناك وفي غيره من الكتب والمحاضرات أن النقاب رغم توصلي فقهيًا إلى أنه كان فرضًا وواجبًا على النساء في الجملة إلا أنه (أعني النقاب) كان ولا يزال وسيبقى في دائرة « المختلف فيه » من مسائل الشريعة ، ولن يكون يومًا أمرًا مجمعًا عليه .

وذكرت في بعض المناسبات بعض الحكم التشريعية العالية في احتلال النقاب هذه المرتبة ، لكنني ذكرت هناك وفي أكثر من كتاب ومناسبة كذلك ، أن وظيفة الأحكام الفرعية المختلف فيها في كثير من الأحيان هي المحافظة على الأصل الشرعي الذي تفرعت عنه ؛ لأن الناس مهما اختلفوا في الحكم الشرعي فقهاءً وعامةً فإنهم لابد في النهاية مجتمعون على الأصل الذي انبثق عن هذا الحكم ... يختلف الفقهاء في الفاتحة والصلاة أهي فرض أم واجب لا تصح الصلاة إلا بها ، أم يجزئ عنها أي شيء من القرآن ،

فصارت قراءة القرآن في الصلاة فرض باتفاق الجميع ، والجمهور على أن الفاتحة لابد فيها وغيرها لا تجزئ عنها ، ويذهب أبو حنيفة وموافقوه إلى أن قراءة القرآن أيًا كانت تجزئ عن الفاتحة إذا ترك قراءتها سهوًا ويسجد لها للسهو ..

هكذا اختلف الفقهاء في هذه المسألة وسار على اختلافهم العامة والخاصة ، إلا أن الحكمة التشريعية تبدو ، عندما ترى الكل يقرأ الفاتحة في الصلاة (إذا كان منفردًا) ويقرأ معها شيئًا من القرآن .. فحافظ الكل على أصل القراءة في الصلاة ، ومعها زيادة قراءة الفاتحة ... ولو أن رجلًا قال : لقد صليت ، ولم أقرأ الفاتحة لكنني قرأت سورة أو سورتين صغيرتين أو شيئًا بقدر هذا وسجدت بعد ذلك للسهو فهل صحت صلاتي ؟ .. لكان الجواب : نعم صحت صلاتك على مذهب أبي حنيفة رحمه الله ..

ولو أن هذا الرجل نفسه قال : وماذا لو أنني لم أقرأ شيئًا من القرآن ؟ .. لكان الجواب بالإجماع : صلاتك باطلة وتحتاج أن تعيدها ما دمت في وقتها ، أو تقضيها إذا خرج الوقت .. وقل الأمر نفسه في كثير من أحكام الإسلام

المتفرعة عن أصولها المجمع عليها .. وهي نفس الوظيفة التي تؤديها النوافل والسنن الراتبة للصلوات المفروضات ، وقل الأمر نفسه في صيام التطوع وحج التطوع ، وصدقة التطوع ... من شأن ذلك كله أن يكون سياجًا وحماية لأصل الحكم الشرعي المجمع عليه .. وهكذا كان النقاب يختلف الفقهاء في شأنه بين قائل بالوجوب ، وبين قائل بالتطوع والندبية .. مع اتفاق الكل على فرضية أصله الذي تفرع عنه ، وهو الحجاب بمعنى « ستر البدن كله ما عدا الوجه والكفين » .. ومع اختلاف الفقهاء في النقاب ، ومعهم في هذا الاختلاف طبقات العامة في الناس ، وخاصتهم تجد أن الثابت بالسند الصحيح : أن النساء في جملتهن كن إذا خرجن ؛ خرجن متنقبات أو ساترات لوجوهن بغطاء ، أو حتى بغطائين في كثير من نواحي بلدان الشرق اللا إسلامي . وتجد في الوقت نفسه أن كلمة العلماء مطبقة على استحسان هذا الذي مارسته وطبقته نساء الأمة المحمدية منذ استقرار أحكام الحجاب في عصر النبي ﷺ وإلى منتصف القرن الماضي كما ذكرت .. نعم لقد استطاع هذا النقاب أن يحمي حمى الحجاب ويدافع عن عرينه

أربعة عشر قرنًا . وقد ظل ثابتًا شامخًا في وجه الأعاصير والمحن والتيارات والفتن إلى أن جاء هذا الداعية « المسكين »[1] الذي صورته بَعْد وسائل إعلامنا العربية المشبوهة بطلًا قوميًا ، وعَلَمًا من أعلام التنوير الفكري والحضاري .. جاء هذا « قاسم بك » ليدعو المرأة المسلمة إلى كشف وجهها ؛ إذ كان يعتبره عائقًا في وجه الدعوة إلى نزول المرأة الشرقية إلى ساحات وميادين الحياة جنبًا إلى جنب مع صنوها الرجل ، تمامًا كما فعلت المرأة الغربية ، وقد انخدع هو وغيره بتلك الصيحات المدسوسة على ديننا وإسلامنا المطالبة بتحرير المرأة وحرية المرأة وحقوق المرأة ، ونحن الآن بعد زهاء قرن من الزمان على تلك الصيحات الخائنة نظرنا فإذا بالمرأة الغربية نفسها تأكل أصابعها ندمًا وتلعن الثورة الصناعية صباح مساء على لسان المفكرات النزيهات منهن... لقد أصبحت المرأة هناك سلعة تباع وتشترى ، وهي في كلمة مختصرة دعاية تجارية ، ولا والله

---

(١) إنما قلت « المسكين » لأني لا أدري كم سيحمل من الآثام والسيئات إلى يوم القيامة إن كان سببًا من أسباب نزع النقاب والبرقع عن وجه المرأة المسلمة ومن ثم خلع الحجاب كله .

إن الدعاية لها قيمة ، لكنها سوقٌ للدعاية التجارية والسلعة الصناعية ، ولا يهم في هذا المعروض أن يكون حذاءً أو أن يكون لباسًا داخليًا أو طعامًا لكلب ، فالمرأة هي الأساس في التسويق والإعلان .. هكذا أرادوا للمرأة الشرقية أن تكون : وهكذا انخدع ثلة من أبناء الشرق بمقالتهم السوء تلك ، فبدأوا يدعون فتاة الشرق إلى نزع النقاب ، وطرح البرقع والاختلاط بالرجل فهذا (بزعمهم) سر نجاحها وعنوان تقدمها ... وكما قلنا في السابق فعلت المرأة الشرقية ما أملته عليها أختها الغربية ، فازدادت تخلفًا على تخلف وانتكاسًا على انتكاس ... لقد كان فيها من هذا الدين ما يسمو بها ويُعليها مراتب فوق فتاة الغرب إنه العفاف والطهر والحشمة والشرف ، وهو في حقيقته سر صلاح المجتمع وروح قوة بنائه المتمثل في لبنته الأولى .. إنها « الأسرة الشرقية » التي كانت وما زالت محط أنظار أعداء الله تعالى ... ولكن ما الذي حدث صعدت المرأة الغربية إلى الفضاء بعد بيعها عفتها وأنوثتها والأسرة كلها ... وإذا بَحَثْتَ عن المرأة الشرقية في أركان حضارة الغرب أو بين ركامها ، فلن تجدها إلا نكتةً أو رسمًا « كاريكاتيريًا » في مجلة جنسية

أو في صحيفة تتباكى ، ولا زالت تتباكى على حال المرأة الشرقية وأوضاعها ، وحتى بعد أن سلبوا منها أعز ما كان يميزها عن غيرها من نساء الدنيا ... تذكروا معي مسألة « ختان البنات » وكيف جعلوها قضية لا كالقضايا ، وكيف صوروا المرأة والبنت الشرقية على أنها أقل من الحيوان تنتهك حقوقه وخصوصياته ... إن المعركة التي بدأت منذ عصر « قاسم أمين » للنيل من شرف المجتمع وطهره وعفافه . لم تكن في الحقيقة إلا جولةً من جولات أعداء هذا الدين ، أو حلقة في سلسلة طويلة لا تنتهي ، هكذا حتى يرث اللَّه تعالى الأرض وما عليها ...

وسريعًا أعود بالقارئ إلى زمن قاسم أمين وسعد زغلول وهدى شعراوي الذين كانوا من أنصار نزع النقاب وخلع البرقع ... وسريعًا سريعًا طار البرقع ومِنْ بعده ارتفع الثوب من تحت ونزل الحجاب من على الرأس قليلًا قليلًا ولكن كما قلت سريعًا سريعًا ، حتى ذهب الحجاب كله لا يلوى على شيء . ولم يتبق منه في وقت من الأوقات إلا رمزه يتندر به بين الفينة والأخرى في كتاب أو فيلم سينمائي أو مسلسل أو مسرحية ضاحكة .

لقد قلت : إن النقاب كان سياجًا وسورًا منيعًا في وجه من يجرؤ على التفكير ، وأقول لمجرد التفكير في المس بأعتاب الحجاب . كالبيت الجميل يبنيه صاحبه ثم لمعزته وقدره عنده يحيطه بسياج ويحميه بسور وكلما ارتفع السور كلما دل على أهمية ومكانة ما في داخله وبين جنباته وهكذا كان النقاب ، وهكذا كانت المبالغة في التحشم والتستر في مجتمعاتنا الإسلامية صيانة وإعلاءً لقدر أصل الحجاب ، وما يرمز إليه من عفة وطهر يمسان المجتمع كله ... وتدور الأيام لتأتي فرنسا اليوم وهي في غربها المتمرد على قيم السماء والشرائع لتجترئ فتمد يدها إلى أصل الحجاب وفرضيته ...

فهل لو قال قائل : لو كان النقاب ما يزال سائدًا ، ولو كانت المسلمات في بلاد الغرب ما زلن محتفظات في جملتهن بالتحشم والتستر أكانت فرنسا تجرؤ على أن تفكر ولو للحظة في أن تسن قانونًا يخرق حمى الحجاب أو يتسور أسواره ؟؟؟!!!

إنها تذكرة .. وإنها عظة .. وإنه درس من دروس التاريخ .. لعل المسلمين تعود فيهم حمية العودة لحقائق قرآنهم ، وهدي نبيهم ﷺ فيأخذوا العدة قبل أن يقال : كان في التاريخ يومًا شيء اسمه « الحجاب » ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

حتى لا تموت قضية الحجاب
« ما مات حق وراءه مطالب »

إني لأعجب لهذا الحرص الشديد الذي يسري في دماء الغربيين على حقوقهم أو حتى ما يظنونه حقًّا ، يستوي في هذا الحرص حكوماتهم وشعوبهم ، وقد يكون هذا الحق الذي يزعمونه أو يعتقدونه هو الباطل الصراح بعينه عند غيرهم .. لا يهم ، وإنما المهم والأهم أن يكون حقًّا مشروعًا عندهم .. تقوم الدنيا ولا تقعد عندهم إذا مات كلب بغير حق ، تُجَيَّشُ وسائل الإعلام وأجهزة الدولة إذا تحرش مسؤول بموظفة .. وتشن حرب كاملة تزهق فيها الأرواح ، وتدمر فيها البلاد لمجرد ظن أن هناك حقًّا لهم قد يعتدى عليه ، والأعجب من ذلك أنهم إذ وجهوا بالحقائق لانكشاف زيف المُدعي أو خطئه اعتذروا بأنهم كانوا يجتهدون ويبذلون ما في الوسع للدفاع عن حقوق بلدهم ومواطنيهم .

إن هناك جزيرة إندونيسية اجتمعت لنصرة أهلها جيوش الغرب . مع أنهم كانوا أصلًا مسلمين ، ولكنهم جعلوها قضية حق شعب في تقرير مصيره يدين بديانتهم ومعتقداتهم هذا ما يفعله

هؤلاء نصرةً (لدينهم وإخوانهم في) المعتقد .. ماذا فعل المسلمون لنصرة البوسنة والهرسك ؟ .. وماذا فعل المسلمون لنصرة قبرص المسلمة ؟ .. وماذا فعل المسلمون لنصرة الشيشان ؟ .. وماذا فعل المسلمون الآن لنصرة مسألة الحجاب في فرنسا ؟ .

ووالله الذي لا إله إلا هو لو أن سائحة أجنبية اعتدي على عُريها وتكشفها لجعلوها عندهم قضية القضايا ولما سكتوا حتى يصدر ما من شأنه أن يكون حماية لما يعتقدونه حقًّا لا يجوز المساس به .

فأين أمة الإسلام من حجاب المسلمة وسترها ، وهو أمر لا يتعلق بحقوق بشرية يختلف الناس عليها ويتفقون .. وإنما يتعلق بفرض فرضه رب المشارق والمغارب لا إله إلا هو... أفلا يستفز هذا الحق الرباني همم ألف مليون مسلم بأموالهم ونفطهم وسائر ثرواتهم لنصرة أختهم المسلمة في ديار الغرب التي أصبحت فريسة للمشروع والقانون البشري ؟ .

أين دور أجهزة الإعلام ووسائل الاتصالات والأجهزة الرسمية والحكومية من أدني مراتبها إلى أعلاها ..؟؟!!

إن الواجب على هذه المؤسسات أن تبقي هذه القضية حية لا تكف عن المطالبة ، ولا تمل وتكل حتى يرجع هؤلاء المتعدون على حقوق المسلمين عن قرارهم . هذا هو الواجب الذي

يفرضه ديننا وقواعده والمنطق ، ونواميس الكون والحياة .. فهل يستجيب أهلنا في الشرق لنداءات إخوانهم في الغرب ؟؟ .

إننا قد لا نصل إلى نتيجة في القريب العاجل ، ليس مهمًّا ، المهم أن لا تموت القضية ؛ لأنها إن ماتت سيأتي غيرها ليموت .

وقد لا يبقى للمسلمين لا قدر اللّه يومًا إلا أسماؤهم ، وحتى هذه الأسماء ليس هناك ما يمنع مِن التلاعب بها كما حدث في بلغاريا وغيرها .

إن أمريكا تطالب منذ حرب فيتنام إلى الآن بمعرفة ما حدث لأسرى حربها ، وكانت هي المعتدية لكنها في اعتقادها كانت تحارب خطر الشيوعية من أن يمتد فيقوض أركان الغرب وإمبريالياته .. وهو ملف مفتوح لا يفتأ الكل هناك يتحدثون فيه ، ويطالبون بما يعتقدون حقًّا فيه .

إن بريطانيا جاءت من أواخر المعمورة بأساطيلها وجيشها لاستنقاذ جزر « فوكلاند » لاعتقادها أنها جزر بريطانية ..

انظر لهذا التعنت في المطالبة بالحق المزعوم الذي أجمع الخبراء على أنه باطل وسراب . ويرفع العلم البريطاني على الجزيرة .. شريعة القوة .. تجعل الباطل حقًّا ..

ولا يقولن أحدٌ إننا عاجزون حتى عن المطالبة ولو بالكلام بحقوقنا .. فإن اللَّه تعالى يأمرنا بالمستطاع ..

فهل عجزنا حتى عن الكلام ؟ .. وهل وصل الأمر بألف مليون مسلم أن يصبحوا كلهم في الدرجة الدنيا في إنكار المنكر ؟! .. ومن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان ؟! ..

إذا كانت الأمة كلها قد وصلت إلى هذا فعلى الدنيا السلام .. وما أظن ذلك .. بل الأمة في خير إن شاء اللَّه تعالى .. وسيبقى هذا الخير فيها إلى يوم القيامة . وصدق ربنا ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ وصدق رسولنا ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين** » .

وامعتصماه [1]

....

....

....

---

(١) تركنا ما تحت هذه الفقرة فارغًا ليملأه القارئ بنفسه ، بما يجيش في صدره من آلام وآمال ، وبما يمكن أن يدور في خاطره من أخيلة وأوهام .

الخاتمة

هذا ما رأينا أن نقوله في هذه العجالة المتواضعة أداءً للواجب نصيحةً للمسلمين خاصتهم وعامتهم ، لا ندعي في ذلك العصمة من الزلل ، ولا السلامة من الخطأ ، بل إن الأصل في كاتب هذه الكلمات العيب والنقص . إلا أنني أحببت أن أدخل في سلك الداعين إلى اللَّه تعالى على بصيرة المبلغين رسالاته ﷻ ، لا نرجو بذلك شيئًا من حطام هذه الدنيا الزائل ، ولا خطفًا لضوءٍ أو اكتسابًا لشهرة ، إن هي إلا الكلمة الطيبة التي نرجو من اللَّه تعالى أن تكون صدقةً جاريةً ينفع اللَّه تعالى كاتبها وناشرها وكل من قرأها ، وقد كتبت هذه الرسالة على عجلٍ إدراكًا للقضية الخطيرة قضية الحجاب في فرنسا قبل أن تبرد في ساحات الفكر ، وتصبح نسيًا منسيًّا ، وقد بدأت هذا العمل ، وانتهيت منه وأنا بعيد عن أهلي وكتبي . لما وجدت من ضرورات إنجاز هذا العمل والإسراع به ، وكلي أملٌ أن يجد هذا الكتاب وغيره - مما كتبت وأكتب - القبول عند اللَّه أولًا ، ثم القبول عند قارئيه الكرام . وهو أولًا وأخيرًا جهد

المقل . إن كان فيه صواب فمن اللّٰه ، وإن كان فيه غير ذلك فمن نفسي والشيطان . وأستغفر اللّٰه من كل ذنب ، هو حسبي ومولاي عليه توكلت وإليه أنيب . وكتبه .

د. محمد نعيم ساعي

القاهرة المحروسة

الأربعاء الموافق ٣ مارس ٢٠٠٤ م

١٢ محرم ١٤٢٥ هـ

الفهرس

الفصل الثاني : هوان الحجاب في الغرب « أسباب وعوامل »

الفصل الثالث : قبل أن تاتي أوروبا على بقية فرائض الإسلام (ما العمل ؟)

* * *

رقم الإيداع
2004/7200
I.S.B.N الترقيم الدولي
977-342-213-5

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « فرنسا تخلع حجاب الحرية والديموقراطية » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... **الدولة :** ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب: ....

هاتف : [ ] / [ ] : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

....

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة .... العنوان ....

....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ □ رخيص □ معقول □ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة ....

- هل صادفت أخطاء مطبعية أثناء قراءتك للكتاب ؟

□ لا يوجد □ نادرًا □ يوجد أخطاء مطبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ ....

....

....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على

e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

كتب للمؤلف من إصدارات دار السلام

- موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي.

كتب للمؤلف من توزيع دار السلام

- فقه السنن.
- الدعوة إلى إباحية الاختلاط.
- الرد على كتاب حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة.
- المجتمع المختلط.
- سفر المرأة بدون محرم في ميزان الفقهاء.
- الدعوة الإسلامية في الغرب.
- النقاب ودعاة الاختلاط.
- شرح حديث: ((إنما الأعمال بالنيات...)).

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٥٩٣٢٨٢٠ - ٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
email:info@dar-alsalam.com
www.dar-alsalam.com